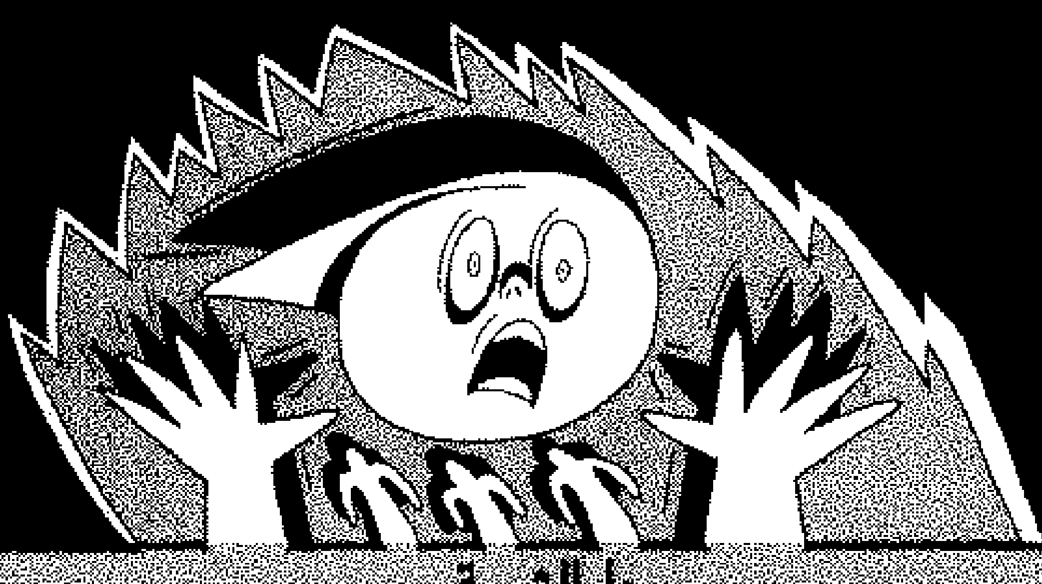
أغرب من الخيال

راجي عنايت

الأشباح المشاغبة

وغرائب أخرى



دار الشروق

الأشباح المشاغبة

وغرائب أخرى

الطبعـة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة ـ ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٢٩٣٣٣
فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨٦٧٦٥٥ ـ تلكس : SHOROK 20175 LE

أغرب من الخيال

راجي عنايت

الأشباح المشاغبة

وغرائب أخرى

دار الشروق

الأشبَاح المشاغبة

الأشبَاح المشاغِبة

فى شتاء عام ١٩٦٧ ، حلت الفوضى على مكتب أحد المحامين المرموقين ، فى مدينة روزينهايم بجنوب ألمانيا .

أول إرهاص للأحداث الغريبة كان خلال الصيف . . بدأت تليفونات المكتب عبثها ولهوها ! . .

فى بعض الأحيان كانت أجراس التليفونات تدق جميعها فى نفس الوقت ، دون أن يكون هناك أى متكلم على الجانب الآخر منها . وخلال أحاديث العمل التليفونية ، كان المتحدث يسمع أصوات طقطقة وتكتكة تشتت فكره .

قدم مدير المكتب شكوى إلى شركة التليفونات . فأوفدت الشركة بعض مهندسيها لإصلاح الخلل إلا أنهم

لم يكتشفوا أى خلل فى الأجهزة أو التوصيلات . وكل ماقالوه عند انصرافهم هو أن الخطوط التليفونية للمكتب فى أحسن حال .

ولكن ، عندما تواصل العبث ، وتواصلت الشكاوى . أوفدت الشركة مجموعة من أفضل مهندسيها . أمضت هذه المجموعة عدة أسابيع فى المراجعة الدقيقة . إلا أن اللغز زاد غموضًا عندما أظهرت الأجهزة الهندسية أن عشرات الاتصالات تتم من أجهزة تليفون متوقفة عن العمل ، لأسباب خاصة بالشركة . بالإضافة إلى أن بعض التليفونات كان يجرى طلب ارقامها بسرعة غير طبيعية . وبشكل يثير الدهشة . وفى أحد الأيام ، أظهرت عدادات شركة التليفونات أن رقم ١١٩ ، وهو رقم الساعة الناطقة . جرى طلبه ٤٦ مرة فى ١٥ دقيقة ! .

مع تصاعد هذه الأعراض ، بدأت المسألة تدخل فى طور جديد .

أدوات مكتب المحاماة بدأ بعضها يتململ ، ويتحرك حركات غريبة . . مصابيح النيون بدأت تدور حول

نفسها ، وتخرج من أماكنها . . مصابيح الإضاءة العادية بدأت تنفجر . . الأدراج كانت تخرج من مكاتبها . . ثم أخذت اللوحات المعلقة على الحائط تدور حول نفسها . التيار الكهربائى كان ينقطع ويعود بلا سبب أو منطق . . باختصار ، عمت الفوضى الشاملة مكتب المحامى .

كل الذين تصدوا لبحث أسباب هذه الظواهر ، خبراء هندسة التليفونات والكهرباء ، وفريق علماء الطبيعة الموثوق بهم ، اضطروا آخر الأمر إلى الاعتراف بعجزهم . لم يجدوا أسباباً من أى نوع ، يمكن أن تعزى إليها هذه الأحداث غير العادية . غاية ما توصل إليه هؤلاء ، الذين كان قد وصل عددهم إلى ٤٠ خبيراً ، هو أن هذا الشغب والفوضى ، سببهما « قوى يتم التحكم فيها بشكل ذكى . تميل إلى مراوغة الباحثين » ! . .

شريرة ، ماكرة ، حقودة !

أخيراً ، تم استدعاء دكتور هانز بندر ، وهو من أكبر

الباحثين فى مجال الظواهر البارا سيكلوجية (أى التى تتصل بالقدرات غير العادية للعقل البشرى) .

بعكس غيره من الخبراء ، استطاع دكتور بندر ، ومن اصطحبه معه من مساعدين ، أن يصلوا مباشرة إلى تشخيص سبب هذه المتاعب . نتيجة لأنهم كانوا قد تصدوا لدراسة العديد من مثل هذه الوقائع .

قالوا : إن مسبب هذه الأحداث فى مكتب المحامى هو أحد الأشباح المشاغبة ، ويطلقون عليها فى الألمانية (بولتر جيست) .

فى عام ١٩٤٥ ، وصف الباحث البريطانى الشهير هنرى برايس هذه الأشباح المشاغبة ، بعد دراسة حالات «فى جميع البلاد والأزمان » ، قائلاً « إنها شريرة ، مخربة . تميل إلى إحداث ضوضاء وجلبة ، قاسية غريبة الأطوار. يمكن وصفها باللصوصية ، استعراضية ، تفتقد أى هدف لنشاطها ، ماكرة ترفض أى نوع من التعاون . حقودة ، متهورة ، مكايدة ، بلا خلق ، ألاعيبها لاتنفد . . » .

كـذلك قـام دكتور نـانـدور فـودور ، أحد معـاصرى د. برايس ، بتوضيـح الفرق بين الأشبـاح عـامة ، وهـذه الأشبـاح المشـاغبـة ، واصفـا الأخيرة بأنها « أرواح مثيرة للضـوضـاء ، تحدث بشكل متكرر نـوعـا غير عـادى من الاضطرابات ، وتتصف شخصيتها بالحقد . وهى تنشط فى أماكن معينة ، وفى حضور أشخاص معينين ، يتمتعون بحساسية خاصة ، وهـم غالبا لا يثيرون الشبهات . . إنه نشاط يلتقى فيه مكان مسكون ، بشخص مسكون » .

عميـــل الأشبـاح ..

فى مكتب روزنهايم ، التقط د . هـانز بنـدر الشخص المسئول عن تنشيط هـذه الأحداث بـلا كثير عناء . لاحظ أن الظـواهـر تنشط فى حضور واحـدة من كتبـة المكتب . شـابة فى التـاسعـة عشرة من عمرهـا ، تـدعى أنـا ماريـا شنيدر. فالهدوء يسود كلما كانت بعيدة عن المكتب ، لكن ما إن تصل حتى تبدأ الظواهر الغريبة فى الحدوث .

على سبيل المثال ، كانت المصابيح تتأرجح عندما تسير تحتها . . وإذا سارت قريبًا من الحائط دارت اللوحات المعلقة حول نفسها كالمروحة . وقد وصلت هذه الظواهر إلى نهايتها ، عند تركت أنا ماريا عملها فى مكتب المحاماة . . وساد الهدوء التام .

العديد من ظواهر الأشباح المشاغبة ـ وليس كلها ـ يكون محورها شخصا صغير السن ، يسمونه عميل الأشباح المشاغبة . معظم عملاء الأشباح المشاغبة يكونون من الفتيان والفتيات ، وبخاصة فى سنوات المراهقة . يفتقدون السعادة فى حياتهم ، ويشعرون بالإحباط ، على الأقل فى وقت حدوث الوقائع ، وهذا كان حال الفتاة أنا ماريا .

ومع ذلك ، فإن مثل هذه الملاحظات لا تعمل أكثر من تحديد بعض الخصائص المميزة للأشباح المشاغبة . ولكنها لا تفسر الظاهرة .

سيارة تتحرك بلا سائق

وكل من يهتم بالبحث عن حقيقة ظاهرة الأشباح المشاغبة ، سيجد حصيلة كبيرة من الوقائع والمواد التى يمكن العمل من خلالها .

الكاتب البريطانى ومتخصص فن المكتبات مايكل جوس ، أعد قوائم مصنفة من تقارير شهود العيان ، ومن الكتب والمقالات التى نشرت حول الموضوع باللغة الإنجليزية . هذه القوائم ملأت مجلدا من ٣٥٠ صفحة . يضم أكثر من ألف واقعة ، من مختلف أنحاء العالم .

من أفريقيا ، حيث اشتكت عائلة من السيخ فى كمبالا من « الأشياء التى تتقافز فى الهواء ، والفوضى التى تشيع فى المكان » ، خلال عام ١٩٦٦ . ومن يوغوسلافيا . حيث حظيت نشاطات أحد الأشباح المشاغبة ، والذى تخصص فى إلقاء الأحجار ، بتغطية إعلامية واسعة عام ١٨٨٥ .

ومن بين جهود حصر وقائع هذه الظاهرة ، دراسة أشرف عليها معهد الأبحاث النفسية ، فى أكسفورد .

وتضمنت استجابـات من جميع أنحاء بريطـانيا . من بين ماورد فى تلك الدراسة ، واقعة أحدثت فيها مطفأة سجائر ثقيلة انبعاجـاً فى مائدة خشبية ، نتيجة لتقافـزها . وواقعة جهاز عزف الموسيقى الذى يعمل بـالعملة ، والذى إعتاد أن يطلق موسيقاه بعد منتصف الليل ، دون وجود أحد فى المكـان . ووقـائع متعـددة عن أوان فخـاريـة تتحطم من نفسها ، وزجاجـات زيت تميل ـ بلامبرر ، لكى ينسكب مـا بها من زيت ، وسيارة يقال إنها تحركت دون سـائق فى الممر الذى تترك فيه .

حـــيرة الشرطـــة ..

النظـرة المدققة للـوقائع ، تفيـد أن الأشبـاح المشاغبـة لاتتعدد أشكال ظهورهـا فقط ، ولكنها أيضًا تشترك فى أن أسبـاب اختيـارهـا لضحايـاهـا تتسم بـالغمـوض ، وأن الاختيار يكون فى جميع الأحوال أشبه بالنزوات .

شـارع ثـورنتون ، فى بـرمنجهـام ، يعتبر من الشـوارع الهادئة فى ضواحى المدينـة الإنجليزية . ظل سكـان خمسة

منازل في ذلك الشارع ، لعدة سنوات ، يبحثون بجدية . ويتجشمون العناء الشديد ، في محاولاتهم اليائسة للوصول إلى إجابة عن سؤال محير : لماذا هم ، دونا عن باقى أهل ثانى أهم المدن البريطانية ، قد وقع عليهم الاختيار ، لكى تتعرض مساكنهم كل ليلة تقريبًا ، لقذائف الحجارة الكبيرة ، والتى لا يعرف أحد مصدرها ؟ . . لقد تكرر تحطيم نوافذ المساكن الخمسة ، وقرميد سقوفها . مما دعا سكانها إلى اتخاذ احتياطاتهم ، من خلال إجراءات مكلفة .

إذا نظرنا إلى واجهة هذه المنازل التى تطل على الشارع . لن نعثر على أى شيء غير طبيعى إلا أن الأمر يختلف ، إذا اتجهنا إلى الجانب الخلفى فيها . . سنجد النوافذ وقد حلت محلها ألواح خشبية ثقيلة ، وسنجد شبكة من الأسلاك المجدولة ، تمتد لتغطى جدران المنازل ، لحمايتها من آثار ارتطام الأحجار الغريبة بها .

بعد التأكد من أن القذف بالحجارة لا يرجع إلى نشاط تخريبى من إحدى العصابات ، أو إلى شقاوة بعض الصغار ، استدعى أهل شارع ثورنتون رجال الشرطة .

فى أول الأمر ، بدت المهمة بالنسبة لرجال الشرطة هينة وسهلة . ولكن بعد أن أمضوا عدة شهور فى البحث والاستقصاء المكثفين ، فشلوا فى كشف سر ذلك الذى يحدث . فأحيل الموضوع برمته إلى الضابط الأول ، وكبير مفتشى الشرطة ، لين تورلى .

قام تورلى باستقدام فريق من ضباط الشرطة ذوى الخبرة ، إلى شارع ثورنتون ، وزودهم بأحدث أجهزة حل ألغاز الجرائم . بعض هؤلاء الرجال أمضوا الليالى الطويلة فى الحدائق المحيطة ، بعد أن حشروا أنفسهم فى أكياس النوم ، وسط شتاء كان من أبرد ما عرفته بريطانيا . وفى هذا يقول الضابط دافى ماكموهان ، متذكرا تلك الليالى المريرة ، التى لم يكن يدفئه فيها إلا رشفات من الحساء الساخن ، يتناولها من الزجاجة التى يحفظ بها الحساء . يقول إنه بمجرد أن رفع غطاء الزجاجة ، تجمد الحساء تماما .

الأحجار المغسولة ..

من وقت لآخر ، كانوا يسمعون صوت ارتطام حجر

بالمبانى ، ممزقا الصمت السائد ، ومبددا حالة السأم . لكنهم لم يعثروا أبدًا على قرينة تفيد فى معرفة من أو لماذا أطلق ذلك الحجر ؟ أو كيف انطلق إلى المبانى ؟ لم تستطع آلات التصوير الحساسة ، والقادرة على التقاط الصور فى الظلام أوتوماتيكيا أن تصل إلى نتيجة . وكل ما تم رصده من حركة عن طريق تصوير الفيديو بالأشعة تحت الحمراء . كان مصدره حركة الفئران والجرذان والأرانب المتجولة . وفى بعض الأحيان ثعلب منهك .

أما داخل البيوت ، فقد كان أصحاب البيوت . الذين أنهكت أعصابهم ، يحاولون الحصول على قسط من النوم . فى انتظار ارتطام الحجر التالى .

وفى نهاية عام ١٩٨٢ ، كان المفتش العام تورلى وفرقته قد أمضوا ما يصل إلى ٣٥٠٠ ساعة عمل ، فى بحث غير مثمر . خلال ذلك الوقت ، كان قسم الشرطة قد تمكن من حل لغز خمس حالات قتل ، لكن ملف شارع ثورنتون بقى مجمدًا ، ومثيرًا للإحباط . وفى تصريح لتورلى إلى أحد المراسلين الصحفيين ، قال « أنا فى حيرة مطبقة . . لقد

جـربنا كـل ما نعـرفـه ، دون أن نتوصـل إلى مصدر هـذه الأحجـار . وبعـد عامين من هـذا ، لم تكن الشرطـة قـد حققت أى تقدم فى هذه القضية .

وحتى مـا تم التوصل إليـه من الحقائق ، كـان يقود إلى المزيد من الحيرة والغموض .

الأحجار المتطايرة ، كـانت من نفس نوع الأحجار التى يمكن أن تجدها فى جميع حدائق شارع ثورنتون ، ومع ذلك فالأحجار التى ارتطمت بالمنازل لم تكن تحمل أى بصمات . ولا أى علامـات خاصة . لكن ، من الـواضح أنها كانت جميعا نظيفة تماما ، ليس عليها أى أثر للتربة . عن هذا . قال خبراء الطب الشرعى ، إنها تبدو كما لـو كان هناك من قام بغسلها ! .

أيا كان ما تجمع من معلومات فى حالة شارع ثورنتون . فاننا نتبين منها سمات الهجوم التقليدى للأشباح المشاغبة .

ولا شك أن إلقاء الأحجـار ، قد حدث بشكل متـواتر على مدى القرون ، وقد خصص دكتور فودور فصلاً كاملاً

من دائرة معارف علوم الخوارق التى أعدها لهذه الظاهرة .
بادئا بحالة تعود إلى عام ٨٥٨ الميلادى ، فى مدينة صغيرة اسمها بنجين على نهر الراين ، جاء فى وصفها « كانت الأحجار تتطاير ، بفعل أشباح شريرة مشاكسة ، أو هكذا اعتقد أهل المدينة . هذه الأحجار كانت ترتطم بحوائط المساكن البسيطة ، وكأنها دقات المطارق » .

حجر .. أم ريشة طائر ؟

وفى ٢٨ سبتمبر ١٩٨٢ ، نشرت جريدة ناشيونال انكوير الأمريكية وصفا لواقعة اقتحام الأشباح المشاغبة لأسرة من بيليتز ، بأمريكا الوسطى . قالت الجريدة . . لقد انهارت الحياة الهادئة التى كان يعيشها رينالدور سالام (٦٣ سنة) ، وزوجته فيليشيا (أيضًا ٦٣ سنة) . وحفيدتها ماريا (١٣ سنة) . . بينما كانت فيليشيا تسير مع حفيدتها ماريا ، فى الطريق إلى قرية سان أنتونيو المجاورة ، اندفعت نحوهما فجأة مجموعة متتابعة من الأحجار الصغيرة .

ترتعش فيليثيا ، وهى تتذكر ما حدث قائلة « كان شيئًا مرعبًا . . بدا الأمر كما لو كنا هدفا لأحجار يصوبها نحونا عدد من الناس ، لكننا لم نر أى إنسان حولنا على امتداد البصر . . لقد سادنا خوف شديد . . » .

بعد هذه الواقعة ، كانت العائلة تتناول طعامها ذات مساء ، فبدأ رشقهم بالحجارة ، وهم داخل حجرة مغلقة . . وعندما تكررت الهجمات ، لم يجدوا بدا من ترك البيت ، والانتقال للإقامة فى منزل بعض الأقارب المقيمين فى المدينة .

قالت الجريدة إن أحد القساوسة الأمريكيين ذكر لها ماشهده هو شخصيًا من الوقائع الغريبة المتصلة بتلك العائلة . . قال القس « بينما كانت العائلة فى كنيستنا . كانت الأحجار تنهمر ، من ناحية الحائط الذى يبلغ سمكه أكثر من نصف متر ! . . وقد طار أحد هذه الأحجار متجهًا ناحيتى . . لكن عندما ارتطم بجسمى ، كان وقعه لا يزيد عن وقع ارتطام ريشة طائر !؟ والغريب ، أن معظم وقائع قذف الأحجار التى تنسب إلى

الأشباح المشاغبة ، لم يرد فيها ما يفيد إصابة أى شخص بإصابات جادة . . الثابت أن هذه الحجارة ـ لسبب غير معروف ـ ترتطم بالبشر فى رقة وخفة .

أشباح تعض وتخمش !

لكن هذا لا يمنع من أن تتضمن بعض وقائع الأشباح المشاغبة ، إصابات جادة .

أورد الباحث والعالم الانجليزى المعروف هارى برايس . نتائج تقصيه لواقعة الفتاة الرومانية اليانور تسوجان ، والتى كانت تعيش فى فيينا . منذ طفولتها المبكرة ، بدت اليانور وكأن لديها جاذبية خاصة لنشاط الأشباح المشاغبة . لكن الذى لفت نظر برايس هو آثار الالتهاب التى كانت تظهر على جسدها من وقت لآخر ، والتى كان سببها ـ على حد قول الخبراء الذين فحصوها ـ الأشباح المشاكسة ، التى تعض وتخمش !

فى ربيع عام ١٩٢٦ ، سافر برايس إلى فيينا ليقابل اليانور . وبعد ذلك كتب يقول « فى فيينا ، وخلال

الدقـائق الأولى من إجراء ملاحظاتى، المبـدئية ، أطلقت اليانسور صرخة حـادة قصيرة تعكس المهـا . وعلى الفور ، قامت راعيتهـا الكونتسة فاسيلكو بـرفع الكم الأيسر لرداء الفتاة ، فظهـرت لمسافـة أعلى الكف على الذراع عـلامات أسنان ، ست علـوية وخمس سفليـة ، ترسم كلهـا شكلاً بيضاويا . وهو نفس الأثر الذى نحصل عليه إذا قام أحد منا بعض ذراعه » . .

ولكى يبـدد أى شكوك حـول أصـالـة الواقعـة ، أورد برايس شهادة أحد الذين التقوا بـاليانور ، الكولونيل هـ . هاردويك ، الذى قال عقب مقابلة اليانور فى لندن ، أثناء وجودهـا هناك « فى الساعـة السادسة والثلث مسـاء وبعد تنـاول الشاى ، كـانت اليانـور تـربط صندوقـا ، عندمـا أطلقت شهقـة ، ومـدت يـدهـا اليمنى نحـو معصمهـا الأيسر، لقد ظهرت علامات الأسنان على المعصم ، كذلك ظهرت آثار كالخمش ، أو الخربشة ، على ذراعها اليمنى . وعلى خديها وجبهتها . وبعد ذلك بقليل ، ظهرت سلسلة من العـلامـات ، أشبـه مـا تكـون بـالحروف على ذراعهـا

اليسرى ، تحولت كلهـا إلى أورام نتيجة الالتهـاب ، خلال ثـلاث أو أربع دقـائق ، ثم بـدأت تختفى بعـد ذلك بالتدريج . لقد كانت الفتاة تحت رقابة مشددة ، ولا يمكن أن تكون قد فعلت ذلك بنفسها ، بوسائل طبيعية» .

المفتاح الجديد اللامع

ومن بين الـوقـائع الهامـة التى يـوردهـا فـرانك سميت لظواهر الأشباح المشاغبة واقعة شيرلى هيتشينز .

كانت شيرلى تبدو لكل من يراها فتاة عـادية ، تعيش مع والـديها ، فى أى المنـازل النمطيـة ، التى يتكـون منهـا صف البنـايـات ، التـى تتجـاور على امتـداد شـارع وايكليف ، فى إحـدى منـاطق سكن الطبقـة العـاملـة فى لندن . وشأنها شأن العـديد من صديقـاتها ، تركت شيرلى دراستها الثانوية فى السنوات الأولى منها ، لتلتحق بعمل ، وكانت تبـدو سعيدة بالفـرصة التى اتيحت لها لكى تعمل كبائعة فى أحد متاجر لندن .

وفى عام ١٩٥٦ ، بعد عدة أشهر من عيد ميلادها الخامس عشر ، لم تعد شيرلى تلك الفتاة العادية .

بدأت متاعبها ذات صباح ، عندما استيقظت من نومها لتجد مفتاحا جديدًا لامعا ، فوق ملاءة سريرها . لم تكن قد رأت ذلك المفتاح من قبل ، كما لم يكن والداها يعلمان عنه شيئا ، بالإضافة إلى أنه لم يكن يصلح للاستخدام فى أى باب من أبواب البيت .

وخلال الليالى التالية ، بدأت شيرلى تشعر بالغطاء يجذب من فوقها بعنف وهى نائمة ، وفى نفس الوقت كان القرع المدوى يتواصل على حائط حجرتها . وخلال النهار كان يصاحب ذلك القرع ، نقر وخمش فى أنحاء أخرى من البيت ، بالإضافة إلى تحرك بعض قطع الأثاث فى أنحاء المكان بطريقة غامضة .

بعد عدة أيام من هذا ، كانت الفتاة فى حالة إنهاك شديدة ، نتيجة لقلة النوم . وهكذا ، تم ترتيب الأمر بحيث تقيم ليلاً فى منزل الجارة السيدة ليلى لاف ، حتى

تنال قسطـا من الراحـة ، بعيدًا عن ذلـك الذى يحدث فى بيتها . إلا أن ذلك الذى كان يحدث « لحق » بها . . !

الساعة المنبهة ، وتحف الصينى ، الموضـوعة فوق الرف فى منزل السيدة ليلى ، بدأت تتحـرك من نفسها فوق الرف ، ودون أن تمسها يد . . أمـا قضيب تحريك النار فى المدفأة ، فقد انتقل من مكانـه إلى الحائط المقابل . . وأثناء نوم شيرلى ، انتزعت ساعة يـدها من معصمها ، وألقيت على الأرض

ارتفاع الجسد فى الهواء

قـرر والدهـا ، الذى يعمل سـائقـًا لعربـات النقل فى لندن ، فى أعقـاب ذلك ، أن يجلس ذات ليلة مـع ابنته . ليرى بنفســه ذلك الـذى يحدث لها . كما حضر شقيقــه ليسهر معه .

نامت شيرلى فى تلك الليلـة ، فى حجرة نـوم والديها ، بينما جلس الأب والعم يـرقبــان . لفترة قصيرة ، بـدا كل شىء هـادئًا . . لكن مـالبث أن بـدأ رنين النقـرات يهز

السرير الـذى كانت تنام فـوقه . كانت شيرلى مـا تزال فى حالة يقظة كاملة ، ترقد وقد أرخت ذراعيها فوق الغطاء . بعد فترة صاحت تنـادى والدها وعمها ، قـائلة إن الغطاء بدأ يتحـرك من فوقهـا . أسرع الرجـلان فأمسكا بـالغطاء لإبقائه فى مكانه ، لكنهما شعرا بمقاومة شديدة لجهديهما . عند الطـرف الآخر من الفـراش أثنـاء صراعهما مع القـوة الخفية ، رأيا - مع الوالدة التى انضمت إليهما - أن الفتاة قد تخشب جسدهـا . ولـدهشتهـم البـالغـة ، بـدأ الجسـد المتخشب للفتاة يرتفع فى الفضاء فوق السرير ، لمسافة ١٥ سنتمترًا تقريبًا ، دون وجود أى سبب معقول لذلك .

فى محاولة لمواجهـة الخوف الذى شعروا بـه ، تقدم العم وحمل جسد الفتاه السابح فى الهواء بعيدًا عن الفراش . أما عن شيرلى نفسها ، فقـد كانت خلال ذلك فى غيبـوبة . وقـد قـالت فيما بعـد إنها شعـرت بضغط هـائل فى وسط ظهرها ، يرفع جسدها إلى أعلى .

حالة ارتفاع الجسد فى الهواء لم تتكرر بعد ذلك ، ويبدو أنها كانت تشكل ذروة الأحداث الغريبة ، ذلك لأنه ابتداء

من صبـاح اليوم التـالى ، اقتصرت الظـواهـر الغريبة على أحـوالها الأولى ، على شكل أصـوات النقـر . لقـد مضى ذلك النقر مع الفتاة ، إلى أى مكان تذهب إليه ، حتى فى الحافلة التى كانت تنقلها إلى عملها .

وفى المتجر ، ألحت عليهـا زميلاتها بعـرض نفسها على طبيب العمل . ورغـم مـا أبـداه الطبيب من تشكك أول الأمـر ، إلا أنـه اقتنع بعـد ذلك بأن « هنـاك شيئًا غـريبًا يجرى» ، عندما بدأ صوت النقر يتردد فى عيادته .

كان الطبيب منشغلاً بحل هذا اللغـز ، عند ما حدث بعد شهـر تقريبًا من بـداية الأحداث عندمـا عثرت شيرلى على المفتاح فوق فراشها ، أن توقفت كل الظواهر من تلقاء نفسها . . ولم تظهر ثانية بعد ذلك .

واليـوم ، بعـد مـرور كل هـذه السنين ، يكـون من المستحيل الحكم على مـــا حـدث فى شـــارع وايكليف بموضـوعية كاملـة ، لأن كل ما بقى لكى نعتمـد عليه فى هـذا الصدد ، مجرد تقـارير صحفيـة ، وأحاديث قـام بها الصحفيـون مع الشهـود ، كأدلة على الـواقعـة . وعلى أى

حال ، فإنه بالاعتماد على هذا ، يمكننا أن نحكم بأن شيرلى وأفراد عائلتها والسيدة ليلى والطبيب الذى فحصها ، كانوا جميعًا أميل إلى الاعتماد على عقولهم . ، كما أن أيا منهم لم يمر بخبرات خارقة من قبل .

جفرى العجوز !

من بين الخصائص المشتركة لمعظم وقائع الأشباح المشاغبة ، أنها تظهر فى بيت يعيش فيه مراهق أو مراهقة . ومن ثم ، يبدو ممكنا القول بأن حالة المراهقة فى حد ذاتها . تولد ــ بطريقة ما ـ القوى التى تشيع ظاهرة الأشباح المشاغبة .

توفرت هذه الخاصية ـ بالتأكيد فى واقعة أشباح «ويسلى» .

كان جون ويسلى ، مؤسس كنيسة الميثوديست ، صبيا فى الثالثة عشرة من عمره عام ١٧١٥ ، عندما بدأت تتردد فى بيت العائلة ، فى مدينة إبسو يرث ريكتورى ، بلينكولن شاير ، بانجلترا ، ضوضاء وطرقات غريبة متواصلة ،

سمعهـا الجميع . كــانت عـائلـــة ويسلى من العـائلات الكبيرة . فإلى جـانب جون ، كـان البيت يضم ١٨ طفـلاً وشـابـا آخـر ، من بينهم مـولى (٢٠) ، وهيتى (١٩) . ونانسى (١٥) ، وباتى (١٠) ، وكيزى (٧).

وقـد وصفت والدة جـون بـدايـة الأحداث فى خطـاب أرسلته إلى شقيقه الأكبر صموئيل قائلة « فى بداية ديسمبر. سمعت الخادمة أصواتا غريبـة خلف باب حجرة الطعام . حشرجات مقبضة كالتى تصـدر من شخص يلفظ أنفاسه الأخيرة » ، وعنـدمـا نظـرت الخادمـة خلف البـاب لم تجد أحدا ، أو شيئا غير عادى .

فى اليوم التالى ، سمع الجميع أصـوات دقات متنوعة . وفى اليوم الـذى يليه ، سمعت مولى حفيف رداء حـريرى يمـرق قريبًـا جـدًا من مكانها . وفى نفس المسـاء ، سمع الجميع نقرات على مـائدة الطعام ، كما سمعـوا وقع أقدام على الدَّرج . بعد ذلك اليوم ، أضيفت ضوضاء جديدة . أصوات مهـد يتأرجح ، وصرير طـاحونة هـواء ، وصوت

نجار يسوى ألواح الخشب . وقـد دأبت الأشباح المشاغبة على مقاطعة الصلوات التى يقوم بها أفراد العائلة .

بالتدريج ، بدأت عـائلة ويسلى تعتاد ذلك التشويش والشغب ، إلى حد أنهم على سبيل الفكـاهة ـــ أطلقوا على ذلك الشبح المشـاغب اسم « جفـرى العجـوز » . وقـد سجل جـون ويسلى فى مذكـراتـه جانبـا من وقـائع الشبح المشـاغب ، فقـال : لم تكن كيـزى تجد متعـة أفضل من ملاحقة جفرى العجوز من غرفة إلى غرفة !!

فجأة . . بعد زيارة استمرت لشهرين ، أختفى جفرى العجوز من منزل عائلة ويسلى ، وعاد الهدوء من جديد .

هذه الـواقعة اجتـذبت ـ فى حينها ـــ انتباه العـديد من العلماء ، ومن بينهم جوزيف بريستلى ، الزميل فى الجمعية الملكيـة لتطـويـر العلـوم ، ومكتشف غـاز الأوكسجين . عكف بريستلى على دراسة ظواهـر تلك الواقعة ، ونشر فى عـام ١٧٨٤ ، نتائج بحثـه فى المجلـة الأرمينية . وقـال فى ذلك المقال إنه يشتبه فى أن هيتى ويسلى كان لها دورها غير الشعورى فى الظاهرة . وقال بريستلى ، إنه من الأمور التى

لها دلالتها ، أن الفوضى والشغب كانا مركزين حول سرير هيتى ، وكانت هيتى هى الوحيدة التى ترتعش فى نومها .

متاعب اسرتى ..

كانت واقعة ويسلى هذه نمطية فى معظم وقائع الأشباح المشاغبة ، من حيث عدم وقوع أى أذى بالنسبة لأهل البيت .

لكن عائلة ويسلى كانت محظوظة ، لأن جيفرى العجوز قصر نشاطه على إصدار أصوات الضوضاء . لأن العديد من وقائع الأشباح المشاغبة ـ كما رأينا فى حالة الرومانية اليانور ـ تتضمن ضربات مخربة وأوانى محطمة . وأحيانا إيذاء للبشر .

مثال ذلك ، تلك الحالة الاستثنائية ، التى واجهتها عائلة بيل . حيث واصلت قوة شريرة تعذيبها لأفراد عائلة بيل ، التى كانت تعيش فى ولاية بيتسى ، لما يقرب من أربعة أعوام .

لم يكن تعبير الأشباح المشاغبة معروفا على نطاق واسع فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨١٧ ، عندما بدأت أحداث تلك الواقعة . ومن ثم ، لم يكن بإمكان عائلة بيل أو جيرانها أن يعرفوا اسما يطلقونه على الكوارث التى زحفت عليهم .

كان جون بيل مزارعا غنيا ، محبوبا ومحترما من جيرانه . يعيش مع زوجته لوسى وأبنائه التسعة ، فى بيت كبير وسط مزرعته ، تحيط به مجموعة من المبانى الإضافية ، ومساكن العبيد . عندما تفجرت أحداث هذه الواقعة لأول مرة . كانت بيتسى . التى احتلت مكانة خاصة فى الأحداث . فتاة قوية متماسكة فى الثانية عشرة من عمرها . أما ريتشارد وليامز بيل ، الذى سجل تفاصيل الواقعة فى كتاب يحمل اسم « متاعب أسرتى » فقد كان فى ذلك الوقت فى السادسة من عمره .

بدأت الفوضى والشغب بنقرات وخربشات ، يبدو أنها آتية من خارج حوائط ونوافذ البيت ، ثم انتقلت بعد ذلك لتصدر من داخل البيت ، على شكل صوت

ضوضاء مزعجة فى أعمدة الأسرة ، وخربشات فى خشب الأرضية ، وضربات على السقف . وتزايدت الضجة بالتدريج ، حتى بدت آخر الأمر كما لو كانت تهز البيت هزًا . كان الشبح المشاغب يتفنن فى إضافة أشكال جديدة للجلبة باستمرار ، فوصل الأمر إلى قلب المقاعد ، وقصف السقف بالحجارة ، وإصدار أصوات جر سلاسل ثقيلة على الأرض .

وفقا لما أورده ريتشارد وليامز فى كتابه ، كانت الضجة تستهدف إزعاج شقيقته بيتسى أكثر من أى فرد آخر من أفراد العائلة .

ثم بدأت الأشباح المشاغبة فى استعراض قوتها العضلية . يقول ريتشارد إنه استيقظ ذات ليلة على شىء يجذبه من شعره ، « . . وعلى الفور صرخ جويل (أحد الأطفال) صرخة رعب مطبق ، ثم سمعنا صرخات بيتسى فى حجرتها ، التى كانت تعانى من شىء يجذب شعرها طوال بقائها فى فراشها . . » .

مشاغبة الأشباح المشاغبة !

حتى ذلك الحين ، كانت العائلة تحتفظ بمتاعبها الغريبة لنفسها .

لكنها بدأت بعد ذلك تطلب مشورة صديق وجار . هو جيمس جونسون . استمع السيد جيمس بنفسه إلى الجلبة في تركيز شديد . ثم قرر أنها تتم بشكل ذكى ، وأنها ليست عشوائية . في مواجهة ما يحدث ، قام جيمس ببعض الممارسات وتلاوة التعاويذ . . فتوقفت الظواهر لبعض الوقت .

ولكن ، عندما عادت الأشباح المشاغبة إلى ممارسة نشاطها من جديد ، فعلت ذلك بعزم وتصميم متجددين ، وركزت على بيتسى . . إلى حد أثارة قلق والديها . كانت الأشياء تلطمها على وجهها ، تاركة آثاراً قرمزية على خديها ، وكانت الأشباح المشاغبة تجذب شعرها بقوة ، إلى حد أنها كانت تطلق صرخات الألم .

عندما وصل الأمر إلى هذا الحد ، أصبح جيمس مقتنعا أن الذى يفعل هذا ـ أيا كان ـ يمكن أن يفهم لغة البشر . واقتنع بإمكان إجراء اتصال به . فنصح بيل صاحب البيت بدعوة المزيد من الجيران ، ليصنعوا ما يشبه لجنة تحقيق وبحث . ولسوء الحظ ، يبدو أن وجود هذه اللجنة قاد إلى المزيد من الأذى ، وليس العكس .

لقد انبهر أعضاء اللجنة بالظواهر التى عاينوها . ولشعورهم بإمكان الاتصال بالأشباح المشاغبة ، دعوها إلى « أن تدق على الحائط ، وأن تتلمظ بأفواهها ، إلى آخر ذلك ، وكان نتيجة هذا أن الظاهرة أخذت تتضخم ! »هكذا قال ريتشارد وليامز فى كتابه . لقد بدأت الأشباح المشاغبة فى إلقاء العصى والأحجار على أبناء عائلة بيل . وهم فى طريقهم إلى المدرسة ، أو عند العودة منها . ومن الواضح أن الأطفال ما لبثوا أن أصبحوا متعودين على هذا . وبدأت المسألة تتحول بالنسبة لهم إلى لعبة طريفة . عندما كانت تلقى نحوهم عصا ، يلتقطونها ويعيدون قذفها فى الاتجاه الذى أتت منه . . .

الألفاظ الخارجة الجارحة

حتى الآن ، كانت الأشياء التى تحدث غير شديدة الضرر ، إلا أن الأشباح المشاغبة بدأت بعد ذلك تصبح أكثر عدوانية وعنفا بين الحين والآخر ، كانت تصفع أهل البيت على وجوههم ، فكانوا يشعرون بما يشبه أثر ارتطام القبضة بوجوههم .

وفى نفس الوقت ، بدأت بيتسى ـــ التى كانت دائماً قوية ـ تعانى من نوبات إغماء ، ومصاعب فى التنفس . وكانت كل نوبة من هذه النوبات تستمر لما يقرب من نصف ساعة . خلال هذه الهجمات على بيتسى ، كانت الأشباح المشاغبة تلتزم الصمت ، ولكن بمجرد أن تستجمع بيتسى قواها ، تبدأ الأشباح فى الصفير والحديث ثانية . كان صوتها فى البداية خافتا ومدغما ، غير متضح المعالم . بعد ذلك ، بدأ يتحول إلى همس منخفض ولكنه متميز .

ولأن الأصوات لم تكن تظهر أبدا ، فى الوقت الذى تغيب فيه بيتسى عن الوعى خلال النوبات التى كانت

تصيبها ، قال البعض باحتمال أن تكون بيتسى ذاتها هى مصدر الأصوات ، على طريقة المتكلمين من بطونهم . لهذا فقد عمد أحد الأطباء إلى وضع يده على فم بيتسى ، ثم ما لبث أن أعلن عدم وجود صلة بينها وبين تلك الأصوات .

كان ما نطق به الشبح المشاغب فى البداية ، مرتبطا بالدين . لقد أظهر مقدرة مدهشة فى تكرار مراسم الأحد لاثنين من القسس المحليين ، كلمة بكلمة ، إلى حد تقليد متقن لصـــــوت كـل من القسين . وفى تعليق للمحلل النفسى ناندور فودور على هذه الحالة ، قال إن هذا الشبح المشاغب كان من الممكن أن يصبح وسيطا روحيا عظيما . لو أمكن تزويده بأفكار الوساطة .

بعد هذه المرحلة ذات الطابع الدينى فى أقواله ، بدأ الشبح المشاغب فى النطق بالألفاظ الخارجة الجارحة والتى أثارت انزعاج تلك العائلة المتدينة . بل إنه أعلن كراهيته لشخص الأب « جاك بيل العجوز » ، وقال إنه سيظل يعذبه ، طوال ما بقى من حياته .

لا تتزوجيـــه !.

منـذ ذلك الوقت فصـاعدًا ، أخـذت حالـة الوالـد فى التـدهـور . لقـد بـدأ يشكـو من تيبـس فى فمـه ، ومن إحساسـه بأن شيئا يلطم جانبى فكه . ثم تورم لسـانه إلى حـد أنـه لم يعـد يستطيع الأكل أو الكـلام . مثل هـذه النوبات كانت تستمر فى بعض الأحيان لحوالى ١٥ ساعة . ثم بـدأ يشعر بتقلصـات عضليـة فى رقبته ، انتشرت بعـد ذلك فى بـاقى جسده ، بحيث أصبح مـلازما الفـراش فى أغلب الأحيان ، يعانى من حالة هذيان دائم .

كـان من الـواضح أن الشبح المشـاغب يكن مشـاعـر مختلفة بـالنسبة لبـاقى العائلة . الأم ، التى كانت بيتسى تعشقها . كـانت الهدايا تتسـاقط على الأم ، من الفـاكهة والمكسرات التى لا يعـرف أحـد لها مصدرا . أمـا الأخـوة ريتشـارد وجـويل ودرا ورى ، فقد كـان الشبح المشـاغب يضربهم من حين لآخـــر ، ولكن دون إيـــذاء حقيقى . وبالنسبة لبيتسى ، توقفت نوبات إغمائها ، وبدأت تعيش

فى سلام ، على الأقل من الناحية الجسدية ، لكن الشبح المشاغب بدأ فى مضايقتها عاطفيا .

كانت بيتسى مخطوبة ، منذ عدة سنوات لجارهم جوشوا جاردنر . لقد ظل الشبح المشاغب يلح عليها أن تفسخ الخطوبة ، هامسا فى أذن الفتاة « ارجوك يا بيتسى بيل ، لاتستمرى فى علاقتك بجوشوا جاردنر ، لا تتزوجى جوشوا جاردنر » ، مضيفا فى لهجة تهديد أنها إذا تزوجته فلن تعرف لحظة سلام . . وقد نجح الشبح المشاغب فى هذا .

صيحات شيطانية

فى خريف عام ١٨٢٠ ، تمكن جون بيل من مغادرة الفراش ، والمضى فى متابعة شئون مزرعته . لكن الشبح المشاغب لم يكن يسمح بذلك . ويتذكر ريتشارد كيف أن والده ترنح فجأة ، كأنما تلقى لطمة شديدة على رأسه . وسقط تجاه جذع شجرة على جانب الطريق ، بينما كان وجهه يرتعش فى تقلصات مخيفة . وكلما حاول الابن وضع

حذاء الأب الذى كان قد خلع فى قدمه ، كان الحذاء يطير فى الهواء بمجرد وضع قدم الوالد فيه . طوال الوقت . كانت تتردد أصوات ساخرة ، وصيحات شيطانية .

فجأة اختفت هذه الصيحات ، فتوقفت تقلصات الأب ، ورأى الابن الدموع تنساب من عينى الأب ، على خديه المرتعشين .

عاد جون بيل إلى فراشه منهزما . وفى ١٩ ديسمبر ١٨٢٠ ، وجده أهل البيت فى غيبوبة عميقة ، وفشلت كل جهود إفاقته .

أسرع ابنه إلى دولاب الأدوية ، ليأخذ زجاجة الدواء الخاص بالأب ، والذى كان الطبيب وصفه له ، فوجد زجاجة مدخنة ، مملوءة إلى ثلثها بسائل داكن اللون . ومع ذلك ، فقد أعطاه بعضا من ذلك الدواء .

استدعى الطبيب ، وعند وصوله ، سمع الجميع صوت الشبح المشاغب ينعق قائلاً « لا فائدة من المحاولة لن تستطيع إنقاذه ، لقد تمكنت منه هذه المرة . . لن يبارح

سريره بعد اليوم . . » وقد توفى بيل صباح اليوم التالى .
وبينما كانوا ينزلون نعشه إلى القبر ، سمع الجميع شماتة الشبح المشاغب ، وهو يترنم بأغنية مرحة ، تكشف عن سعادته .

قنبلة الدخان

اختبر طبيب العائلة السائل الذى كان فى زجاجة الدواء ، على إحدى القطط ، فأصيبت القطة بتقلصات حادة على الفور ، ثم ماتت ! . . وبدلاً من تحليل السائل ، ألقى الطبيب بالزجاجة غاضبا إلى نار المدفأة .
ولم يحدث أن توصل الأطباء إلى تفسير طبى مقنع لوفاة جون بيل .

بعد الوفاة ، بدأت الظاهرة تخفت تدريجيًا . وبينما كانت العائلة تجلس إلى مائدة العشاء ذات مساء ، انفجر فى المكان ما يشبه قنبلة الدخان ، وسمع الجميع صوت

الشبح المشاغب وهو يقـول إنه سيمضى الآن بعيدًا ، لكنه سيعود بعد سبع سنين .

وقـد تحقق الوعـد ، بعد أن كـانت بيتسى قد بـارحت المنزل ، وتزوجت من شخص آخـر غير خاطبها السابق . ولم يكن بالبيت وقتها سوى الأم وجويل وريتشارد . إلا أن الظواهر لم تتجاوز فترة قصيرة ، وتـراوحت بين سماع وقع جرجـرة أقدام على الأرض ، وجذب مـلابس النوم . . ثم اختفى الشبح المشاغب نهائيًا بعد ذلك .

إحساس حاد بالذنب

ورغم أن بعض المظاهر الهامشية لحالة جون بيل وشبحه المشـاغب ، يحتمل أن تكـون قد تحورت وتبـدلت على مـر السنين ، لكن الأمـر الثـابت هـو أن الظاهـرة الأسـاسيـة وقعت بـالفعـل . ومـازال المختصون ينظـرون إلى هـذه الظاهرة بـاعتبارهـا من الظـواهر التى تستحق المزيـد من الدراسة الجادة ، وقد جرت مناقشتها ، وفحص وقائعها ،

بشكل مستفيض فى العديد من كتب الظواهر الخارقة للعقل البشرى .

وأكثر ما يثير الانتباه فى الجوانب النفسية لحالة جون بيل، هو ما يشار إليه من غموض فى العلاقة بين بيتسى بيل ووالدها .

بداية ، دعنا ندخل فى الاعتبار الأعراض التى مرت بالفتاة . يشير دكتور فودور إلى أن نوبات الإغماء التى كانت تمر بها بيتسى ، وحالات الدوار التى يعقبها مباشرة صوت الشبح المشاغب ، شديدة الشبه بالأعراض التى تظهر على الوسيط ، عندما يدخل فى حالة الاسترخاء الكامل، أو النشوة . وهو يشير أيضًا إلى أن الفتاة كانت سليمة من الناحية الصحية ، وأن نضوجها الجنسى جاء مبكرًا .

والوالد من ناحية أخرى ، ظهرت عليه كل علامات ما يطلق عليه الطب النفسى الحديث تعبير « الإحساس الحاد بالذنب » ، الذى تكون له انعكاساته العديدة على البدن .

مثل التقلص العصبى للعضـــلات ، وعـدم القـــدرة على الأكل أو الكـلام ، والانسحاب العام من الحيـاة . ورغم احتمال أن أحدا قـد دس السم فى دواء الأب ، ذلك السم الـذى قضى عليه آخـر الأمر ، يبقى الاحتمال القـوى بأن الرجل قتل نفسه ، بعد أن أصبح لا يحتمل ملاحقة الشبح المشاغب له .

أما بـالنسبة للشبح نفسه ، فيقـول د . فودور إن ذلك الكيـان لم يكن فى إمكـانــه أن يعتمـد فى وجـوده ، أو فى مايقـوم به من تصرفات غـريبة ، على نفسـه فقط . . لقد كان الشبح المشاغب ـ بصفة استثنائية ـ بشريا للغاية ، فى مشاعره وسلوكه العـاطفى ، ومزحه التى يقلد بها البشر . ومن حيث إظهار العطف والحب والرعاية للفتاة لوسى بيل من حين لآخر ، وأيضًا الطريقة التى كان الشبح المشاغب يحتقر بها جون بيل ، ذلك الاحتقار الشديد .

ذكريات طال كبتها

ويستخلص د . فودور من ذلك أن بيتسـى بيل كانت

تعانى من انفصام فى الشخصيـة ، أى أنـه ، بطـريقـة غامضة ، كـان جانب من عقلها اللاواعـى قد اتخذ لنفسه حياة مستقلـة . وهذا الجانب الناشـز من نفس بيتسى هو الذى دفع الوالد إلى الموت ، بطريقة منهجية .

وسيكلوجية مثل ذلك الانفصام مازالت لغزا ، بالنسبة للبحث النفسى . فإنـه من النـادر جـدا رصـد مثل هـذه الحالات من تعـدد الشخصية ، لكن عنـدما تظهـر يكون مرجع ذلك عادة إلى صدمة شعورية قوية ، وقد قدم دكتور فودور تخمينـا تصوريا فى أسـاسه ، معتمـدا على خبرته فى مجال العصاب (أى الاضطراب العصبى الوظيفى) ، وفى مجال الذهان (الاضطـراب العقلى) ، لجذور واقعة الشبح المشاغب الذى عانت منـه عائلة بيل ، مشيرا إلى أن ابتداء مـرحلة المراهقـة ، والمشـاعر الجنسيـة النـامية ، كـان من الممكن أن تتحول إلى صدمـة ، فى المحيط المتطهر المتزمت الذى نمت فيه بيتسى ، والمجتمع الذى عاشت فيه .

وقد تصور د . فودور أن الصـدمة فى حالتها يمكن أن تكون قـد تعمقت نتيجة استيقـاظ ذكريات طـال كبتها .

فماذا كانت تلك الذكريات ؟ . . تقول نظرية دكتور فودور، إنه من المحتمل أن تكون بيتسى قد اغتصبت فى طفولتها ، ومن المحتمل أيضًا أن يكون الأب هو المغتصب! . .

قد تبدو هذه النظرية بعيدة عن التصديق ، إلا أن العلاقات غير الطبيعية بين المحارم ليست بالندرة التى نتصورها ، خاصة فى المجتمعات الزراعية الريفية . ويشير د . فودور إلى أن أول ظهور للإحساس العميق بالذنب عند بيل ، توافق مع وصول بيتسى إلى سن المراهقة . ومن المحتمل أن يكون إحساس بيل بالذنب قد بلغ أقصاه ، بحيث إنه تعاون ـ بشكل ما ـ مع الشبح المشاغب فى مضاعفة أعراضه المرضية .

معامل جامعة ديوك

أما عن السر فيما أبداه الشبح المشاغب من اضطهاد لبيتسى ، فيمكن فهم ذلك ، إذا قبلنا الفرض القائل بأن

ذلك الشبح كان جانبا من لا شعور بيتسى . إذا ما صح أن جانبا من نفس بيتسى كان مصمما على قتل والدها ، فمن الطبيعى أن تكون لديها مشاعر قوية بالذنب من جراء ذلك ، ومن ثم تستحق بعض العقاب من عقلها الواعى . ويقول فودور إن التضحية بخطوبتها جاءت فى البداية . إلا أن رؤية القتل العقلية كانت متبلورة فى عقلها الباطن قبل ذلك بزمن .

ولو أن حالة شبح أسرة بيل قد حدثت فى الشطر الأول من القرن العشرين ، وليس قبل هذا بمائة عام ، كنا سنصبح فى موقف أفضل عند التصدى لتقييمها ، من الناحية السيكلوجية ، ومن ناحية القدرات العقلية الخاصة . لقد تطورت اليوم إلى حد بعيد البحوث الخاصة بالظواهر الخاصة للعقل البشرى . وهى تزداد تطورًا يوما بعد يوم . ولعل أفضل معامل البحث فى تلك الظواهر هو معمل البارا سيكلوجى بجامعة ديوك . بالولايات المتحدة ، الذى أسسه دكتور ج . راين ، وينهمك خبراء ذلك المعمل فى جهود مضنية ، سعيا إلى اختبار العديد من

الظـواهر الخاصـة ، أو غير العاديـة ، ومن بينهـا ظاهـرة الأشباح المشاغبة .

ويصف دكتور ج برات ، مساعـد د . راين ، فى كتابه «بارا سيكلوجى » . بعض منـاهج البحث المعملى . وقد أشـار فى أحـد فصول ذلك الكتـاب إلى واقعـة الشبح المشـاغب ، الذى ظهـر فى منطقـة سيفـورد بأمريكـا . ذلك الشبـح الذى أثـار المتـاعب لعائلـة متوسطـة ، فى لونج أيلاند .

الزجاجات المراقـة

كان السيد والسيدة هيرمان يعيشان مع طفليهما جيمى (١٢ سنة) ، ولوسيل (١٣ سنـة) ، فى منزلهما بسيفورد . ناسو كونتى ، فى ولاية نيويورك .

على مـدى شهرى فبرايـر ومـارس ١٩٢٨ ، حـدثت سلسلة من الظـواهر الغـريبة ، التى أشـاعت الفوضى فى حيـاة الأسرة ، بلغ عـدد المسجل منهـا ٦٧ واقعـة . وقـد

جرى تحقيق هـذه الظواهر ، ليس فقط عن طريق جـامعة ديوك ، ولكن أيضًا بين سلطات شرطة الولاية .

لقد كـانت الظواهـر منقسمة إلى نـوعين ، رفع الغطاء المحـوّى (قـلاووظ) عن الـزجاجـات ، متبوعًـا بإراقـة محتويـات الزجـاجات ، ثم تحرك الأثـاث وبعض الأشياء الصغيرة .

ورغم أن دكتـــور بـــرات ، لم يستطـع أن يصل إلى استخلاص حاسم تجاه ظاهرة الشبح المشاغب الذى ظهر فى سيفورد ، إلا أنـه لاحظ عدم حـدوث أى شىء عنـدما تكون الأسرة خارج البيت ، أو عندما يكون الجميع نياما . أو عنـدمـا يكـون الطفــلان فى المدرسـة . ولاحظ أن الاضطـرابـات تحدث دائمًا فى أقـرب مكـان من جيمس . قياسا على باقى أفراد الأسرة .

ويطـرح د . بـرات فى تقـريره العنـاء الـذى يـواجهـه البـاحـث فى الظواهر غير العـادية ، قبل أن يصـل إلى قرار بأن الظـاهـرة حقيقية ، ولا تـرجع لأسبـاب طبيعيـة ، أو

تعـزى إلى الخداع . لقـد استبعــد د . بـرات ، ومفتش الشرطة جـوزيف توزى ، احتمال وجود حيلة أو خـدعة . يقوم بها أى مـن أفراد العـائلة . ثم بعـد ملاحظـة القرائن الملموسة لتلك القوة ، الأشياء المحطمة والسوائل المراقة . استبعـدا سريعًا أن الظـاهرة هى مجرد هلـوسة جماعيـة من جانب أفراد العائلة .

ثم قـاما بعـد ذلـك بمـراجعـــة احتمالات أن يكـون الاضطراب قد حدث نتيجة مـوجات راديو عالية التردد . أو ذبذبات ، أو آثار كيميائية (فى حالة السوائل المراقة) . أو نتيجة لتركيبـات كهربائيـة غير سليمة ، أو من أثـر جر أثقال فى المبنى ، أو تغيرات فى مستوى مياه بئر قريب من المنزل . وأيضًا استبعدا احتمال وجود نهيرات تحت الأرض ، أو هبوطا فى التربة .

ماذا تفعل المراهقة ؟

بعد ذلك ، قامت مجموعـة د . برات مع رجال الشرطة بعقد مؤتمر ، فى كلية أدلفى القريبة من المنزل ، مع أعضاء

قسم العلوم ، ودعى إليه أيضًا مجموعة من المهندسين الإنشائيين والمدنيين والكهربائيين من جمعية ناسو للمهندسين .

بالإضافة إلى ما تم من استبعادات سابقة لسبب الظاهرة ، اختبروا احتمال رجوع الظواهر إلى عمليات إقلاع وهبوط الطائرات ، فى مطار ميتشيل القريب ، ثم راجعوا أعمال السباكة والصرف فى المنزل ، من القمة إلى القاع .

كانت نتيجة جميع هذه المراجعات سلبية . وبعد حوالى شهرين من البحث فى الموقع ، قال د . برات إنهم لايتعاملون مع « أى نوع من القوى الطبيعية ، التى يمكن أن يعزى إليها سبب هذه الوقائع الغريبة ، وإذا لم تكن اضطرابات سيفورد نتيجة عمليات أو خداع ـ علما بأننا لم نعثر على أى دليل للخداع ـ فإنها تعتبر مجالاً مناسبًا لاهتمامات علماء الباراسيكلوجى » . وكلماته هذه تعنى أن هناك كيانا ذكيا ، يقف وراء هذه الظواهر والاضطرابات .

ولم يستبعد د . برات اتصال واقعة سيفورد ، كما فى معظم حالات الأشباح المشاغبة ، بمراهقين فى المكان .

وقد خرج د . برات ، من خلال زيارته القصيرة للعائلة . بأن الطفلين لا يبدو أنهما يعانيان من أى مشاكل نفسية . ومن المحتمل أن المشاكل النفسية ليست شرطًا لحدوث الظواهر غير العادية ، وأن المراهقة فى حد ذاتها تطلق ظواهر الأشباح المشاغبة ، وأن قوى المراهقة تتبادل التأثير مع قوى أخرى .

إلا أنه ليس ممكنا استبعاد فكرة وجود قوى أخرى . لأنه قد تم رصد بعض حالات الأشباح المشاغبة لم تكن تتضمن أى مراهقين فى المكان . وهذا ينطبق على حالة الأشباح المشاغبة التى نشطت فى مركز كيلاكى ، بايرلندا . والتى كانت تتجسد فى شبح قطة سوداء .

ما رجريت أوبراين ، الشخص الوحيد الذى كان يعيش فى المكان خلال كل مراحل الاضطرابات ، التى استمرت من أواخر الستينيات وحتى نهاية عام ١٩٧٠ . هى سيدة ناضجة ذكية . والأكثر من هذا ، أنها كانت غائبة عن البيت فى كثير من المناسبات التى حدثت فيها الظاهرة . ومن ثم ، يصبح من المستحيل الربط بين المتاعب وبين أى شخص .

ولكن من المحتمل أن الشبح المشاغب الذى أقام فى كيلاكى قد دفعه إلى النشاط تدخل هواة البحث فى الظواهر غير العادية . وفى هذا الصدد ، قد يكون من المفيد تذكر أن الشبح المشاغب الذى ظهر وسط عائلة بيل ، قد ساعدت على تنشيطه جهود لجنة التحقيق ، بعد أن طالبته بتحريك فمه والتلمظ وإصدار غير ذلك من الأصوات . وكذلك الشبح المشاغب « جيفرى العجوز » الذى ظهر لعائلة ويسلى ، كانت كيزى هى التى شجعته إلى حد ما ، عندما راحت تتابعه من حجرة إلى أخرى ، ثم أخذت تغيظه .

ظاهرة الأشباح المشاغبة قد تكون إحدى القوى البشرية ، لكنها تبدو دائماً قادرة على تبادل الاستجابة مع التدخل الآدمى .

تحطيم الكراسى والأوانى

بعد ظهور القطة السوداء العملاقة خلال تجديد مبنى

كيلاكي ، وردت تقارير عن ظهور أشباح أخرى ، لكنها لم تكن بحيوية تلك القطة .

عندما نشرت وقائع التحقيقات حول هذه الظاهرة الغريبة فى الصحافة الأيرلندية ، سعت مجموعة من شخصيات النشاط المسرحى والترفيهى فى دبلن إلى إقناع السيدة مارجريت أوبرين بأن تسمح لهم بعقد جلسة فى بيتها . وعندما وافقت ، حضروا ، ثم رتبوا حروف الأبجدية على شكل دائرة فوق مائدة ، واستخدموا كوبا مقلوبة كمؤشر ، يمكن أن تشير به القوى الخارقة إلى الحروف .

كانت نتيجة تلك الجلسة غير حاسمة ، رغم انقطاع التيار الكهربائى ، بشكل غير واضح السبب ، عدة مرات خلال تلك الليلة . لكن حدث بعد هذه الجلسة بيومين أن تصاعد الوضع ، وبدأت المشاكل والاضطرابات الجادة .

بدأت الأشباح المشاغبة ـ بشكل متقطع ـ فى الدق والطرق أثناء الليل ، وأخذت الأنوار تضاء وتطفأ . ثم بدأ

بعض الفنانين المقيمين فى مركز كيلاكى يعانون من الأرق . نتيجة للقرع المتواصل من الأجراس ، رغم عدم وجود أى أجراس فى المنطقة .

والمرحلة الثانية من النشاط كانت أكثر وضوحًا . .

فى إحدى الغرف المغلقة التى لم يدخلها أحد ، عثروا على قطع أثاث ثقيلة وقد قلبت . كذلك جرى تفكيك الكرسى الضخم من خشب البلوط قطعة بقطعة . . وتم تحطيم كرسى آخر متين إلى شظايا ولمدة عدة أسابيع بعد تحطيم الكراسى ، حل السلام . لكن الاضطرابات بدأت بعد ذلك ثانية . وهذه المرة اتخذت شكل تحطيم الأوانى الخزفية . . كانت الآنية تقفز فى الهواء ثم تهوى مرتطمة بالأرض وقد تحطمت . . كما اتخذت شكل تلسويث مساحات واسعة من الحائط بالصمغ ، وشكل تمزيق العديد من لوحات التصوير الزيتى إلى شرائط .

زجاجات اللبن والقبعات !

قرب نهاية عام ١٩٧٠ ، حدثت أغرب واقعة ، وقد

جاء ذلك فى أعقاب محاولة قسيس دبلن القيام بتلاوة بعض التعاويذ وإجراء بعض المراسم .

فى ذلك الوقت ، كان السيد والسيدة أوبراين مازالا يجريان بعض التحسينات فى المكان ، ولم تكن لديهما ثلاجة كهربائية ، لذلك فإن بائع اللبن ابتكر بديلاً طبيعيًا للثلاجة ، بوضع زجاجات اللبن وسط الماء المتدفق فى جدول المياه الطبيعى القريب من البيت . كان قد ترك الزجاجات منتصبة وسط المياه الضحلة . وعندما توجهت مارجريت إلى الجدول لتأخذ زجاجة ، وجدت الغطاء المصنوع من الألومنيوم الخفيف (الفويل) قد نزع من مكانه ، رغم أن اللبن الذى داخل الزجاجة كان باقيا على حاله . . وقد تكررت هذه العملية لعدة أيام تالية .

فى البداية تصور الزوجان أن الطيور هى التى انتزعت الغطاء ، رغم عدم العثور على أى أثر للأغطية . ولوضع حد لهذه المضايقات ، بنى السيد أوبراين صندوقًا من الأحجار الثقيلة له أربعة جوانب ، فوق جدول الماء ، ثم

غطى ذلك الصندوق ببلاطة ثقيلة ، وطلب من بائع اللبن أن يعيد وضع البلاطة بعد وضع زجاجات اللبن فى الجدول . رغم هذا ، فقد تواصل اختفاء الأغطية ، ثم بدأ ظهور أنواع أخرى من أغطية الزجاجات داخل المنزل ! . . ربما كنوع من التعويض عن أغطية الزجاجات المفقودة ! . .

نتيجة هذه الاضطرابات المتنوعة ، اعتاد الزوجان ، كاحتياط ، أن يغلقا كل الأبواب والنوافذ قبل التوجه إلى الفراش مساء . ومع ذلك ، فقد تواصل ظهور أغطية الزجاجات ، ثم بدأت تظهر معها أشكال وأنواع من القبعات ! . . قبعات سباق خيل ، وأوبرا ، وأغطية رأس أطفال محبوكة من الصوف ، لها كرات صوفية أعلاها . وقبعات قش رجالية ونسائية ، من التى تستخدم لاتقاء الشمس . . وكانت مفخرة المجموعة ، حرملة نسائية من الكتان ، لها شراريب ، قدر المختصون أنها ترجع إلى أزياء القرن التاسع عشر ، رغم أن حالتها كانت كالجديدة تماما .

ذلك النشاط الغريب توقف فجأة عند نهاية عام ١٩٧٠ . ورغم سماع بعض الطرقات ووقع خطى أقدام من حين لآخر ، إلا أن مركز كيلاكى للفنون عادت له حياته الطبيعية . تحقيق وقائع هذه الظاهرة تم فى قمة حدوثها ، ولكن فى حدود ضيقة ، باعتبار أن الهدف كان إعداد برنامج تلفزيونى عنها ، وعن الأحداث الغريبة التى تتضمنها . ومن المؤسف أن هذه الوقائع لم يتوفر لها الخضوع لاشتراطات التحقيق العلمى الدقيق ، فمن الواضح أنها تندرج تحت طائفة أكثر ألغاز الأشباح المشاغبة غموضًا .

الاضطرار إلى هجرة البيوت

وفى الزمن الحاضر ، تنشر الصحف من حين لآخر عن المآزق التى يواجهها بعض الناس ، عندما تدفعهم الأشباح المشاغبة إلى هجر بيوتهم .

فى أغسطس ١٩٨١ ، هربت عائلة بيرون من بيتها فى شارع آبوت ، من المنتجع الانجليزى المختار فى بورتماوث ،

مقسمة على عدم العودة إليه بعد أن أشاعت فيه الأشباح المشاغبة أشكالاً من الخراب .

لقد حفلت الصحف ، فى ذلك الوقت ، بصور آثار الواقعة ، الأوانى الفخارية المحطمة ، والطعام الملقى فى فوضى كاملة على أرض المطبخ . وأشارت التقارير الصحفية المصاحبة لهذه الصور إلى قطع الأثاث التى طارت فى الهواء ، قبل أن ترتطم متحطمة بالأرض .

وواقعة أخرى حدثت قبل هذا بما يزيد عن العام قليلاً ترك زوجان شابان ، وطفلهما الرضيع منزل البلدية الخاص بهم فى بينهيل وأيلتشاير ، بعد انتقالهم إليه ثلاثة أيام فقط ! . .

وفقا لما نشرته إحدى الصحف حول هذه الواقعة «أخذت الأنوار تضيىء وتنطفىء ، والقضيب الخاص بتحريك نار المدفأة طار عبر الحجرة ، كما طار جهاز التسجيل تجاه الطفل النائم » كان المجلس البلدى متعاطفا معهم ، وقال متحدث باسمه « هذان الزوجان

لايكذبان بالنسبة لما يجرى فى هذا البيت ، وسنعمل مباشرة على تدبير منزل جديد لهما » .

كما جرى إعادة إسكان عائلة أخرى ، فى انجلترا الوسطى ، بعد أن تدفقت كميات الماء من خشب الأرضية ، رغم عدم وجود أى تسرب أو عيب فى أنابيب المياه الخاصة بالمنزل ! . .

الطرقات والدخان

ورغم أن انطباع البشر بالنسبة لمعظم وقائع الأشباح المشاغبة يكون سيئًا ، إلا أن ضحايا هذه الوقائع يبدون . بين الحين والآخر ـ ممتنين لاختيارهم كهدف لها ! . .

فى يناير من عام ١٩٨٢ ، استيقظت عائلة نيسومان . التى تعيش فى شيفيلد بيوركشاير ، فى منتصف الليل على الأصوات التقليدية للأشباح المشاغبة ، والتى تواصل إزعاجها لهم على مدى سنة ، بالإضافة إلى قذفها تحف الزينة وغيرها من الأدوات المنزلية ، إلى أنحاء البيت ، مع تواصل أصوات الطرقات العالية .

فى تلك الليلة ، دفعت هذه الضوضاء والفوضى صاحب البيت ديريك نيدمان إلى أن يتحرك . روى هذا عن لسانه ، أحد المراسلين الصحفيين قائلاً « لقد بدا الأمر كما لو كان أحد ما يمر على كل ما فى البهو بمطرقة . . كان الصخب هائلاً . . فالتقطت مطرقة ، وفتحت باب حجرة النوم ، فاندفع فى وجهى دخان كثيف . . » .

ويعتقد السيد نيدمان أن الشبح المشاغب أنقذ حياته وحياة زوجته وأولاده الثلاثة ، لأن الشقة كانت قد اندلعت فيها النار ، وكان الدخان يملأ أنحاء البيت . ولم تستيقظ العائلة نتيجة للطرقات والنقر الشديد ، لما كان بإمكانهم أن يصلوا إلى الشرفة ، التى قام رجال الإطفاء بالتقاطهم منها .

ومن ناحية أخرى ، توجد على الأقل عائلة واحدة . وجدت أن احتكاكها بالأشباح المشاغبة ، كان أكثر قبولاً من الأحداث التى تلت إعلانها عن الواقعة ، والمتاعب التى ترتبت على ذلك .

فى عدد ١٧ سبتمبر من عـام ١٩٦٢ ، أوردت جريدة الـديلى تلجراف بعنـاوين ضخمة مثيرة « لم تكن الأشبـاح المشاغبة هى التى دفعت عائلة دوترى لهجر بيتها الريفى . فى بسورت سماوث بفـرجينيـا ، ولكنـه كـان تـدفق آلاف الفضوليين الذين تدافعوا لـرؤية ما يحدث . وتقدر الشرطة أن عدد الـزوار قد وصل إلى ٢٠ ألف زائر خـلال أسبوعين من نشر أخبـار الأوانى الفخـاريـة التى تـرتطم بـالأرض والحوائط والحشيات والوسـائد التى تطير من فوق الأسرة . وطفل الأسرة الـذى رفعته الأشبـاح المشاغبـة فى الهواء فوق مقعـده . وتقول السيـدة دوترى ، البـالغة من العمـر ٧٨ سنة ، لم أشعر بـالخوف من أى شىء فى ذلك المنزل ، لكن ازدحام الجماهير هو الذى أرعبنى ! » .

خدعة طبيب الأسنان الألمانى

تسجيل آثـار الأشباح المشـاغبـة ، وجمع أقوال شهـود العيـان ، وزيارة مـوقع النشاط ؛ هـذا هـو ما ينشغل بـه

البـاحثون فى مجال الظـواهـر الخارقـة . إلا أن الوصـول إلى تفسير محدد لهذه الظواهر ، هو شىء آخر .

لقـد وضع دكتور جـورج أوين ، المهتم بتحقيق وقـائع الأشباح المشـاغبة ، سـؤالا ، ليكون عنـوان كتابـه الذى صدر عام ١٩٦٤ ، « هل يمكننا أن نفسر ظاهرة الأشباح المشاغبة ؟ » . ورغم أن العـديد من الحالات ستظل تبعث الحيرة فى النفوس ، إلا أن الإجـابة عـن هذا السـؤال تكون أحيانا « نعم يمكننا » .

أكثـر الاحتمالات قــوة ، هــو أن الـذيـن يمـرون بهذه التجربـة ، يكونون ضحيـة خدعـة أو مزاح . ولا شك أن تـاريخ مـا كتب عن الأشبـاح المشـاغبـة ، وغير ذلك من الظواهر الخارقة . حافل بالخداع والاحتيال .

على سبيل المثال ، فى بداية عام ١٩٨٢ ، أثارت دهشة أهل بافاريا السفلى حكاية غريبة . طبيب أسنان فى مدينة صغيرة اسمهـا نـويترأوبلينخ ، ادعى أنـه قد سمع صـوتـا خشنا متقطعا من السقف ، ومن فيشات الكهرباء ، ومن أجهزتـه الطبية ، وحتى بلاعـة الحوض ودورة المياه . . تم

استدعاء الشرطة ، وقامت فرقة من مكتب البريد والهاتف بتغيير توصيلات التليفون ، وقبل أن ينصرف الفريق . سمع أفراده صوتا يقول « لن تتمكنوا من العثور علىّ . . » . قالها بلهجة بافارية ثقيلة .

لكن ثبت فى نهاية الأمر ، أن المسألة كلها مجرد خدعة . واعترف الطبيب ومساعدته الجميلة الصغيرة بذلك . لقد بدأ الأمر كمزحة ، ثم تطور إلى مشكلة . لقد فرضت المحكمة على الطبيب غرامة تبلغ حوالى ٨ آلاف دولار . لإزعاجه السلطات ، والسعى إلى الدعاية عن عيادته . وانتهى الأمر بإغلاق ملف الواقعة ، وإغلاق عيادة طبيب الأسنان .

السام .. وخدعة القاضى

ومن بين الحالات الموثقة للأشباح المشاغبة ، حالة كوميدية لشبح مزيف ، ظهر فى مدينة وندسور ، بنوفاسكوشيا عام ١٩٠٦ . بطل القصة قاضى إشهار ، سنرمز له بالرمز «س» . كتب السيد س لجيمس هيسلوب ،

أحـد أوائل الأمريكيين الـذين نشطوا فى أبحـاث الظواهـر الخارقة ، يحكى قصة عجيبة .

قال إن المسالة بدأت عندما شاهد ما يبدو كجسد رجل بلا رأس . ثم تجسد الشبح بعـد ذلك فى صورة حقيبة وفى صورة صندوق محمول عبر الطـريق ، وكان وزن الصندوق يتـزايـد كل لحظـة . وعنـدمـا طلب السيـد س من المارة مساعدته فى حمل الصنـدوق ، ثم فتحه أمامهم ، لم يجد به شيئا . وحكى عن برميل ضخم يتدحرج فى شوارع المدينة بـلا توقف . وفى رسـالتـه ذكر السيـد س مـا حدث بعـد ذلك ، إذ كانت العملات المعدنية تتساقط من أعلى ، كلما دخل أحدا المتاجر ، كما أن صوت قرع واضح سمع فى قبو محل البقالة ، وعندما كـان فى المطعم كانت الأشياء تتطاير فى الهواء . . ولهذا أوفد هيسلوب السيد هيروارد كارينجتون إلى مدينة السيد س .

كان كارينجتون محققا صاحب خبرة غزيرة ، شعر بعد قراءة خطـاب السيد س أنه غير مقتنع بـأصالة الـوقائع . وعندما وصل إلى مدينة وندسور تأكدت ظنونه . لقد تواطأ عدد من سكان المدينة للقيام بخدعة على حساب القاضى

الساذج . في أحد المصانع ، قام العمال بربط المقاعد الخالية بخيوط يمكن شدها لتبدو المقاعد وكأنها تتحرك من تلقاء نفسها . ومدوا بعض الأنابيب لنقل الأصوات الغامضة . وبعض أبناء البلدة كانوا مدربين على إلقاء الأشياء في الهواء دون ملاحظة حركة أيديهم ، وكان في محل الحلاقة أحد ممارسي خفة اليد يجعل العملات الأجنبية تتساقط دون مصدر معروف .

الرعب الذي أحدثته هذه الحركات جعل من الصعب على القاضي س أن يتحقق مما حوله . لقد اكتشف كارينجتون أن الحكاية بدأت كنكتة في أحد المصانع ، ثم ما لبث أن شارك فيها معظم أهل المدينة ، ربما كوسيلة لتبديد السأم الذي جلبه الشتاء الزاحف الجديد .

الغيرة الشريرة

بعد أن سمعت السيدة روزاموند باركر عن الوقائع التي تمكن د . برايس ومعاونوه من كشف زيفها ، وإظهار

مافيها من خدع ، أرسلت لـه خطابا تشرح تجربة مرت بها على مـدى ثـلاث سنوات . كـانت روزامـونـد تعيش مع والـدتها وشقيقها فى منـزل بإحـدى القـرى الإنجليزيـة . عندمـا بدأت الأحـداث الغريبـة التى حكت عنها قـالت «لمدة ثـلاث سنـوات ، قـامت سيـدة متوسطـة العمـر بخـداعنا . عن طـريق القيـام ببعض الحيل والألاعيب ، حتى نتصور وجود أشبـاح مشاغبـة . فى بدايـة الأمر ، لم نشتبه فيها بأى شكل من الأشكال ، فمظهرها كان يوحى بأنها طبيعيـة ومحل ثقة . بعد وفـاة والدى كنـا نعيش نحن الثلاثة معا . وجـاءت السيدة ف إلى البيت لتقوم بالأعمال المنزليـة . لكن الذى قامت به فعـلا ، هو أنها سعت بكل وسيلة ممكنـة إلى ارعابنـا ، مصدرة الأصوات فى منتصف الليل ، ومكررة الصفير بمهارة جعلتنا نتصور أنه قادم من خارج البيت . ولعل السر فى هـذا التصور ، حالة التـوتر التى لم تكن تساعد على تبين حقيقة الأشياء ! .

« ثم انتقلنا بعد ذلك إلى منزل جديد ، خلال السنوات الثـلاث الأخيرة . فى البيت الـريفى ، لم تنجح الشرطـة فى

اكتشـاف سر اللغـز ، لكن بعـد انتقـالنـا إلى المدينـة استطاعت الشرطة بسرعة أن تكتشف سر السيدة ف ولعل مرجـع ذلك أنها أصبحت فى هـذه المرحلة أكثر جـرأة . وأقل حيطـة ، فى القيـام بحيلها . المهم أننـا جميعـا وكل أقاربنـا ، ومن كـانـوا يترددون علينـا ، لم نشتبـه أبـدا فى السيدة ف . . » .

قـالت السيـدة روزامونـد فى خطـابها إنها لم تستطع أن تحدد دوافع السيـدة ف للقيـام بما قامـت به ، « لقـد كنـا نعاملهـا دائماً أطيب معاملـة . . والافتراض الباقـى الذى استقر رأينـا عليه ، هو أنها بطريقـة غريبة ، كـانت تشعر بالغيرة من وضعنا الاجتماعى ، وأرادت أن تحطمنا » .

التلفزيون .. والمجارى !

وبعض وقـائع الأشبـاح المشـاغبـة تبين أن بـالإمكـان الوصول إلى تفسير عادى طبيعى لها .

فى يناير ١٩٧٩ ، على سبيل المثال ، ثار قلق سكان مونت بليزانت ستيت ، فى ليريد جشاير ، عندما بدءوا يسمعون أصواتا هادرة ، أشبه بصوت الرعد البعيد . كانت تتردد كل نصف ساعة تقريبا خلال المساء فى بعض الأحيان ، كانت البيوت تهتز بشسدة نتيجة لذلك ، إلى حد أن تحف الزينة كانت تتساقط من فوق رفوفها . وقد ذكر أحد السكان أن مجموعة التحف النحاسية كانت تسقط متدحرجة على الأرض . بدأ التوتر يسود سكان المنطقة . خاصة وأن الاهتزازات كانت تزداد قوة كل يوم .

عندما تم استدعاء الشرطة ، عاد رجالها بعد أيام قليلة من البحث المضنى ، بإجابة شافية ! .

لقد عرفوا أن الضوضاء والاهتزازات لم يكن سببها الأشباح المشاغبة ، ولكنها كانت بسبب طبيعى منطقى : خلل نظام صمامات تصريف الهواء ، فى محطة رفع المجارى المحلية . أما عن سبب تواتر حدوث هذا بانتظام كل نصف ساعة ، فقد قررت الشرطة أن مرجع ذلك إلى برامج التلفزيون ! . .

قالوا إن الإعلانات التى تعرض بين البرامج ، تحل كل نصف ساعة ، ومن ثم يسرع السكان إلى دورات المياه . فيتضاعف ضغط الماء على نظام الضخ ، مما يضاعف أثر خلل الصمامات .

التفسير الجغرافى للأشباح

وهناك العديد من وقائع الأشباح المشاغبة ، أرجعت إلى أحوال جغرافية أو جيولوجية ، وأثرها على حركة المياه الجوفية . وفى هذا يقول ج . لامبرت ، أحد خبراء الظواهر الخارقة « حقيقة عدم وجود مسبب طبيعى عادى ، لايعنى أن السبب لابد أن يتصل بالظواهر الخارقة . . » .

قام لامبرت بأبحاثه عام ١٩٥٥ ، وكانت هذه الأبحاث هى أساس نظرية « النظرة الجيوفيزيقية للأشباح المشاغبة » . ومن بين ما فعله ، البحث عن عامل مشترك فى عدد من الوقائع التى حظيت بتحقيق جيد ، فوجد أن نصف الوقائع تقريبا قد جرت قريبا من مياه الجذر ، بما

لايـزيد عن خمسـة كيلو مترات . وهـو يقول إن مثل هـذه القـوة كفيلة بإمـالـه المبانى ، بما يكفى لسقـوط الأوانى . وانزلاق الأرائك والمقاعد فى حجـرات المعيشة وإماله الأسرة بما يجعل من فوقهـا يتصور قوة تدفعـه إلى خارج السرير . وقد تحدث هذه القوة ضغطا يحطم زجاج النوافذ .

ويقول لامبرت إن هذه القوة تتوفر بشكل أكبر فى فصل الشتاء ، عنها فى فصل الصيف ، وبـالقرب من الشواطئ عنها فى المناطق الداخلية .

تجارب تضعف نظرية لامبرت

أبـدى بعض البـاحثين فى الظـواهـر الخارقـة اهتمامـا بالنظرية الجيوفيـزيقية التى قال بها لامبرت ، إلا أن العديد منهم وجـدوا أنـه من الصعب أن يـرجعـوا بعض النتـائج المنسوبـة للأشباح المشـاغبة إلى مجرد اهتـزاز المبنى ، نتيجة اهتزازات تحت الأرض أو تحريك للميـاه الجوفية . كما أنهم وجدوا أنه من الصعب تصـديق أن تحدث هذه الاهتزازات

دون أن يشعر بها من هم داخل البيت . وفى صيف عام ١٩٦١ ، قام تونى كورنيل ، وهو من باحثى كمبردج ، وأحد أصحاب الخبرة العالية بموضوع الأشباح المشاغبة ، بعدة تجارب لامتحان مدى صدق نظرية لامبرت . أقنع سلطات المساحة فى البلدة بإعارته أحد المبانى الصغيرة القديمة لإجراء تجاربه . ورغم أنه كان من المقرر إزالة ذلك المبنى ، لكنه فى حالة إنشائية جيدة ، وخاليا من الرطوبة .

باستخدام آلة مبان صممت خصيصًا لإحداث هزات وذبذبات ، جرى هز المبنى بشكل فعال بالإضافة إلى استخدام كتلة من المعدن تزن ٦٠ رطلاً ، كبندول يرتطم بأعلى المبنى . وداخل المبنى تم وضع ١٣ جسما فى أماكن تجعلها متأثرة بهذه الاهتزازات .

كانت تجربة غريبة ، وتحتاج إلى شجاعة . وبالرغم من أن الإحساس بالاهتزاز كان قويا ، ومؤلما فى بعض الأحيان ، فإن الأشياء التى بالداخل لم يتحرك منها شىء . وبعد خمسة ارتطامات من الثقل المتأرجح الذى يبلغ وزنه

٦٠ رطـلاً ، حـدثت تلفيـات فى الأسمنت ، فسقطت شظايا طبقـة الجص مـن السقف ، ولكن الأشياء التى بالداخل بقيت فى مكانها .

ولم تأت النتيجة إلا بعد سلسلة من ارتطامات البندول ، عندما تحرك أحدى قـوائم المرجل الثلاثـة لمسافـة أقل من سنتيمترين ، وقادت الضربـة التالية إلى إسقـاطه . . لكن لم تحدث أى حـركة من الأشيـاء الثـلاثة عشر التى كـانت معلقة ، أو موضوعة فوق الأرض .

وأخيرا ، أدار كـورنيل الآلـة التى تحدث الاهتـزازات بأقصى قوة لها ، وبقى داخل المبنى مع مساعده للمراقبة رغم مـا فى ذلك من خطـورة . اهتـز المبنى بعنف . وتصـاعدت سحب التراب ، وتسـاقط الملاط ، وحـدث شرخ فوق إحدى النوافذ . لقد كانت أعنف تجربة فى مجال تحقيق ظـاهرة الأشبـاح المشاغبـة ، لكنها كـانت فى نفس الوقت أكثرها دلالة ، لأنـه لم يحدث أن تزحزح من الأشياء التى بالـداخل إلا أقلها ، وكانت حـركة محدودة ، رغم أن

البيت بأكمله كان يهتز ، وكـان ملاط الحائط يطير مندفعا من مكان إلى آخر .

توقفت التجربـة ، بعد أن تأكـد كورنيل من أن هـذه الاهتزازات لم تحدث التأثير الـذى تحدثه الأشباح المشـاغبة وهكـذا أصيبت نظـرية لامبرت بلطمـة . وكـانت نتيجـة البحث الذى قامت به كمبردج ، أن تفسير وقائع الأشباح المشاغبة بالأسباب الجيوفيزيقيه التى قال بها لامبرت ، هو الاستثناء وليس القاعدة .

المحتـرم جيمس

ولعل خير ما يدعم رأى الباحث كورنيل ، تلك الواقعة المرعبة ، والتى تضمنت النعوش المتحركة فى باربادوس .

جرت أحداث هذه الواقعة فى قبر معتم ، بإحدى أجمل جـزر الكـاريبى ، التى اشتهـرت دائماً بانتشـار الشعـوذة البدائية الأفريقية (فودو) ، وبسرقة القبور ، والنبش بحثا

عن الجماجم ، واجتذبت نتيجة ذلك العديد من الباحثين في الظواهر الخارقة للعقل البشري .

كانت تلك المقبرة تعرف باسم « قبو عائلة تشيس » . وكانت ضمن المقابر الملحقة بكنيسة المسيح ، والتي كانت تخدم مستعمرة أو يستينس ، في جنوب غرب بادبادوس . كانت ساحة الكنيسة صغيرة ومهملة ، وكان قبو عائلة تشيس نفسه غير ملفت من الناحية المعمارية ، لا يظهر منه سوى السقف الحجري المحدب فوق الأرض . الهبوط لبضع درجات من المدخل ، يقود إلى مدخل المقبرة ، محصن ببوابة حديدية متينة حاليًا . وخلف هذا الباب تكمن الغرفة المظلمة العارية من أي أثاث .

الأحداث الغريبة التي جعلت هذا القبو المهجور مشهورًا في باربادوس كلها ، ثم في العالم كله ، بدأت بعد عدة سنوات من نحت القبر في صخور باربادوس ، لكي يكون المقر الأخير لأحد الأغنياء المحليين ، المحترم جيمس اليوت ، والذي قال عنه شاهد القبر :

اختطف منا

في الرابع عشر من مايو ١٧٢٤ ميلادية
في الرابعة والثلاثين من عمره
وتوفي منتحبا عليه من كل من عرفوه

ولا يعرف أحد ما إذا كان المحترم جيمس قد دفن أصلا في ذلك القبو . وإذا كان ذلك قد حدث ، فما الذي حدث لجثمانه ؟ ذلك لأنه عندما أدخل تابوت السيدة توماسينا جودار إلى القبو ، في عام ١٨٠٧ ، كان المكان خاليا . بعد ذلك بعدة أشهر ، أدخل تابوت معدني صغير يضم رفات ماري آن تشيس ، الطفلة ابنة صاحب الأملاك في ذلك الوقت ، المحترم توماس تشيس . وسط أحزان الأسرة ، جرى وضع التابوت الصغير قريبا من تابوت السيدة توماسينا ثم أعيد فتح القبو في ١٦ يوليه ١٨١٢ ، لدفن دوركاس ، إحدى شقيقات ماري آن . وكان كل شيء في مكانه .

الشياطين المحلية ، أم الزنوج

لكن فى الشهر التالى ، عندما توفى توماس تشيس نفسه ، وتم إعداد القبو لاستقبال نعشه ، وجدوا أن التابوت المعدنى لابنته قد تحرك ! . كان الأمر كما لو كان التابوت الصغير قد ألقى من أحد جانبى المقبرة إلى الجانب الآخر ، وكان مستندا برأسه إلى أحد الأركان ، فى وضع رأسى تقريبا . وسط الحيرة الشديدة ، قام بعض الذين حضروا الجنازة بإعادة الأوضاع إلى أصلها ، ورتبوا التوابيت ، ثم أغلقوا المقبرة بإحكام .

كانت عملية الدفن التالية تخص الطفل صمويل برويستار آمين . ومرة ثانية ، عندما فتحت المقبرة ، كانت التوابيت مبعثرة فى أنحاء القبو ، فى حالة من الفوضى الشاملة . . ونفس مشهد الفوضى تم اكتشافه بعد عدة أسابيع عندما أدخل تابوت سام برويستا ، الذى قتله بعض عبيده .

وعندما حان موعد دفن الآنسة توماسينا ، فى ٧ يوليو ١٨١٩ ، كان أعضاء كنيسة المسيح يعلمون جيدًا ما الذى

يتوقعونه داخل القبر . عندما جرى فتح الأقفال المحكمة للباب ، كانت التوابيت المعدنية فى حالة كاملة من الفوضى . وكان التابوت الخشبى الذى يضم بقايا السيد جودار قد تحطم ، مما اقتضى حزمه بعدة أربطة قبل إعادته إلى القبو ، بجوار تابوت الآنسة كلارك .

تجمع حشد كبيره فى ساحة الكنيسة ، بدافع الفضول أكثر من الحزن ، وحضر أيضًا لورد كومبرمير حاكم باربادوس ليعاين المشهد بنفسه . وكانت الشائعات والشكوك منتشرة فى كل مكان . أصحاب المزارع اتهموا الزنوج بالاعتداء على حرمات الأسياد . أما الأهالى المحليون فاعتقدوا أن ما يحدث هو بالتأكيد من فعل « جابييز » و«دابييز» ، وهما من الشياطين المحلية التى يخافها الأهالى .

نتيجة لهذا كله ، تولى الحاكم بنفسه الإشراف على الاحتياطات الواجبة . وبحث بدقة ، ولكن دون جدوى ، عن أنفاق خفية أو مداخل غير مرئية . تم تنظيم التوابيت بعناية وترتيب ، أما اللوح الذى يغلق القبو فقد تم تثبيته

فى مكانه بالأسمنت . وقام الحاكم بعمل عدة « علامات سرية » ، لكى يتعرف منها على أى عبث فى المستقبل .

الفوضى الوقحة

عندما حل موعد إدخال تابوت جديد فى ١٨ ابريل ١٨٢٠ ، بعد عشرة أشهر ، كان أهل الجزيرة فى أعلى درجات التحفز والترقب ، ليروا ما يمكن أن يكون قد حدث فى القبو .

أصر لورد كومبرمير على حضور فتح القبر بصحبة بعض الأصدقاء من بينهم ناثان لوكاس ، جد الكاتب الإنجليزى الشهير تشارلز كنجيزلى ، وقام بتسجيل ما حدث قائلاً :

أخذنا معنا ثمانية رجال ، وتوجهنا مباشرة إلى ساحة الكنيسة لنفتح القبو ، وأرسلنا فى طلب القس توماس أوردرسون ، الذى ما لبث أن حضر . . وكنت مع القس وروبرت كلارك ورولون كوتون حاضرين طوال الوقت .

عندما وصلنا إلى القبو ، كان كل شيء سليما من الخارج . . لم يمسس أحد نبتة حشائش أو قطعة حجر . لكن في الداخل كان الأمر مختلفا للغاية . أظهر ما جور فينك رسما تخطيطيا ، كان قد قام به قبل إغلاق القبو في ٧ يوليو ١٨١٩ ، عند دفن توماسينا كلارك . إلى اليسار كان تابوت دوركاس تشيس إلى جوار والدها توماس تشيس وصمويل بريوستار ، أما تابوت الطفلة آميس فكان موضوعا فوق تابوت دوركاس ، بينما التابوت الذى يحتوى رفات مارى آن تشيس وتوماسينا كلارك ، فقد وضع فوق غطاءى التابوتين المجاورين .

لكن الذى شاهدناه عند فتح القبو يعكس نوعا من الفوضى الوقحة ، بقى تابوت توماس تشيس فى مكانه . وفيما عدا ذلك أزيحت جميع التوابيت من أماكنها ، وتركت متراكمة فوق بعضها دون نظام .

يقول السيد لوكاس الذى كتب هذا التقرير ، إن الخداع أو التواطؤ كان مستحيلاً . وقد أكد القس أوردرسون أن القبو كان بعيدًا عن أيدى العابثين .

«فالمدخل الهابط ، المؤدى إليه ، كانت تغطيه كتلة كبيرة من رخام دو فنشاير الأزرق ، تحتاج إلى عدة ساعات لازاحتها وإعادتها ثانية إلى مكانها الصحيح . كما أن الأمر يحتاج — على الأقل — إلى أربعة رجال أشداء لتحريك الحجر . . » .

بعد هذه الزيارة ، أيقن الجميع أن عائلة تشيس قد لقيت ما فيه الكفاية ، فتم إخراج التوابيت من القبو المزعج ، ودفنت مستقلة ، لترقد فى سلام كانت قد افتقدته طويلاً .

ذراع مشيرة إلى السقف !

ورغم أن هذه هى أشهر وقائع تحرك التوابيت ، إلا أنها ليست الوحيدة .

فى عام ١٨٧١ . حكى ديل أوين فى كتاب « وقع أقدام عند حدود العالم الآخر » ، حكاية غريبة كان قد سمعها من أحد معارفه البارون جولد نشتوب ، حول

مـاجرى فى مقبرة بجـزيرة أوسيـل . قال إن الأهـالى كانـوا يسمعون أصـواتا مروعة صـادرة من الكنسية الصغيرة التى بها . وحكى أصحـاب الخيـول أن خيـولهم كـانت تثـور وتتصبب عرقـا عند سماعها هذه الأصـوات ، مما قاد ذات مرة إلى وفـاة أحد ركـاب الخيل . ويقال إن ذلك بـدأ عند دفن أحد النبلاء المحليين . يحكى أوين القصة فيقول :

أثنـاء التلاوات التى تمت فى الكنيســة لخدمة المتـوفى . سمع من أسفل الكنيســة ما يشبـه الأنين ، وغير ذلك من الضوضاء الغـريبة . أثار ذلك رعبا شديـدًا لدى القائمين على مراسم الصـلاة . وعندمـا تشجع بعض الحاضرين . وهبطوا إلى القبو الكائن تحت الكنيسة ، وجدوا لدهشتهم التى لاحـد لها ، أن جميع التوابيت التى كـانت مـرصوصـة بنظـام دقيق جنبـا إلى جنب ، قـد تكـومت فى حـالـة من الفوضى .

عندما تكـرر حدوث ذلك . تم تعيين بعثة للتحقيق . وضع أعضـاء هـذه البعثـة الأقفال على بـاب القبـو ، كما وضعـوا الأختـام لضمان عـدم العبث بـالبـاب . ثم نشروا

الـرماد على الأرض ، ليكشف آثــار أى أقـدام ، وعينوا حارسًا خـارج القبو . وبعـد ثلاثـة أيام عـادت البعثة إلى الموقع :

« وجـدت الأبـواب والأقفال فى مكـانها ، والأختـام لم يعبث بها أحد . وكان سطح الـرماد ناعمًا ، لم تطأه قدم . هبطوا الـدرج ، وبقلوب واجفـة تطلعوا إلى المشهـد الماثل أمامهم . كانت جميع التـوابيت قد تغير مكانها ، فيما عدا التـوابيت الثلاثـة التى لم تتحرك فى المرة السـابقة . كـانت بعض التـوابيت تقف فى وضع رأسى رغم ثقلهـا . وكـان غطاء أحـد التوابيت مفتوحًـا بشكل جزئى ، وبـرزت منه ذراع المتوفى حتى المرفق ، مشيرة إلى سقف القبو ! » . .

عش غراب يرفع الصخر

ظهرت عـدة نظريـات فى محاولات الوصـول إلى تفسير لظاهرة التوابيت المتحركة . إحدى هذه النظريات تقول إن الغـازات الصادرة من الأجسـام المتحللـة ، قد تكـون هى

السبب فى حركة التوابيت . لكن ، لماذا يحدث هذا مع قلة من التوابيت وليس كلها ؟

كذلك فكر البعض فى أن حركة التوابيت قد تكون نتيجة لنمو عش الغراب الضخم . وهم يقولون « نحن نعلم أن القوة المحدثة للظاهرة يجب أن تكون قادرة على رفع أثقال كبيرة . إلا أن العلماء قالوا إن عش الغراب الدائرى الضخم ، الذى يصل قطره إلى ما يزيد عن ستة أمتار ، ينمو فى كهوف هنداروس . ورغم أن ذلك النوع من عش الغراب يرتكز على ساق أشبه بالخيط ، إلا أن بإمكانه رفع صخور كبيرة . وعندما ينضج هذا النوع من عش الغراب تنفجر الدائرة فى ضجيج واضح ، متحولة إلى مسحوق . والرياح المواتية يمكن أن تحمل بذوره بعيدًا ، وربما إلى باربادوس » .

ولا شك أن أكثر النظريات شعبية ، هى أن التوابيت تتحرك بفعل رشح المياه ، التى يمكن أن تكون قد جفت عند فتح المقبرة . لكن ناثان لوكاس الذى سجل واقعة باربادوس يقول متشككا «لماذا تبقى التوابيت الخشبية فى

مكانها ، مع أن الخشب مفروض فيه أن يطفو قبل غيره ؟ . لم يكن هناك أى أثر لمياه متسربة فى القبو ، ، كما أن القبو كان فى الأرض المستوية لساحة الكنيسة ، وليس فى مسقط لمياه الأمطار . . والأكثر من هـذا أن ساحـة الكنيسة تقع فوق قمة تل » .

الأبحـاث الحديثـة فى القـاهـرة نتجت عنهـا عـدة نظريات . فى السبعينيات ، قـامت السيدة ايريس أوين ، من مؤسسة الآفاق الجديدة لـلأبحاث ، بتورنتو فى كندا . برحلـة إلى باربـادوس ، وزارت قبو عـائلة تشيس . وقاد البحث الـدقيق للقبـو إلى احتمالين . أولا ، كانت هنـاك على امتداد الحائط الخلفى للقبـو ماسورة حـديدية قـديمة صـدئة ، يبـدو أنها جـزء من التصميم الأصلى للقبر . إذا كانـت هذه الماسـورة فى مكانها منـذ بدايـات القرن ١٩ . يمكن أن تكـون قـد سربت الماء إلى القبـو ، خـلال العواصف الممطرة .

الشىء الثـانى الـذى لاحظتـه السيـدة أوين ، هـو أن القبر قريـب جدا من حائط سـاحة الكنيسـة ، « ومن ثم

كان من السهل ـ نسبيًا ـ خلع بعض القوالب الحجرية من حائط الساحة ، وحفر بضع سنتيمترات في التربة . للوصول إلى خلفية القبو . وكان قد نشر أن السيد تشيس الكبير كان قاسيا بلا مشاعر . والأرجح أن قسوته هذه انصبت بصفة خاصة على عبيده . وساحة الكنيسة تقع بعيدًا عن الشارع الرئيسي ، حتى يومنا هذا . وفي المساء . لابد أن يكون المكان هادئًا مهجورًا ، مما يتيح لمن يريد أن يقتحم القبو أن يفعل ذلك دون إزعاج من أحد .

وهذا يعني أن الأمر قد يكون نوعا من الانتقام . لإخافة أي سيد يتسم بالقسوة وعدم مراعاة مشاعر الآخرين .

التحريك بقوة العقل

الكلام كثير ، والنظريات كثيرة ، ومحاولات البحث عن أسباب طبيعية لا تتوقف . لكن مازالت هناك العديد من وقائع الأشباح المشاغبة التي لا يمكن تفسيرها وفقًا

لهذه المسببات الطبيعية . الأمـر الذى يحظى بأكبر قدر من الاتفاق ، هو أن الإجابة عن تساؤلات الأشباح المشاغبة ، تكمن فى مكـان مـا من النفس البشريـة ، وربما الظـروف الصحية التى تؤثر عليها .

ومن بين سبل التفسير التى أجمع عليهـا العـديـد بحماس ، مـا يتصل بما يمكن أن نطلق عليـه « عميل » أو « بـؤرة » الأشباح المشـاغبة . وهـذا يستند إلى وجـود طفل غالبًـا فى مركـز انطلاق الأحداث ، وأن الظـواهر الغـريبة ترتبط بوجوده . وهـذا التفسير يكون مقبولا لو أن الأطفال والمراهقين يوجـدون فى كل أو معظم الحالات ، لكن واقع الأمر يقول عكس هذا .

ومن بين التفسيرات الأخرى ، أن الأشباح المشاغبة هى نتائج التعاسة أو الإحباط الجنسى ، أو الإحساس بالذنب ، خاصة عند المراهقين ، حيث يتحول التعبير عن العواطف إلى قـوة متـلاعبة يمكن أن تحرك الأشيـاء وتقلب كيـان البيت . إلا أن أحدا لم يـوضح الآلية التى يمكن أن يتم بها هذا .

وهناك احتمال مختلف عن الاحتمالات السابقة ، يشير إلى وجود شخص قريب من موقع النشاط ، يستخدم بشكل لا شعورى قدراته للتحكم فى الأشياء والأجسام اعتمادا على قوة العقل فقط ، هذه القدرة التى يطلق عليها علماء الباراسيكلوجى اسم « سيكوكينيتك » .

وقد عمدت بعض الدراسات الحديثة إلى إحياء نظرية قديمة ، تقول إن الأشباح المشاغبة هى أعراض حالات مرضية مفهومة ، ولكنها غير شائعة . وأشار الباحثون إلى أوجه الشبه الكبيرة بين الظاهرة التى تعزى إلى عميل الأشباح المشاغبة ، وبين أمراض النظام العصبى المركزى .

قد يكون فى هذا تفسير لبعض الحالات ، لكنه لا يكون مقنعا كتفسير عام .

* * *

لم يتغير الوضع كثيرا ، منذ أن أطلق هارى برايس السؤال فى كتابه « هل يمكن أن تفسر ظاهرة الأشباح المشاغبة ؟ » ، قال بعد ذلك « لا . . نحن لا نعلم شيئا .

أيا كان ، عن (لماذا) توجد الأشباح المشاغبة فى مكان ما . وما هى بالضبط ، وكيف نتخلص منها ، أو نستدعيها . . نحن لم نتمكن من تفسير آليات حركتها . ونقلها الأشياء ، وأصواتها ، أو كيف تتمكن من إشعال النار أو إطلاق الماء ؟ . . إننا لا نعلم من أين تأتى بالطاقة التى تتيح لها تحريك الأشياء ، والأشياء الثقيلة فى معظم الأحيان . . وكيف تصل ببعض الأفراد إلى حالة الملوسة التى تجعلهم يعتقدون أنهم يرون أشياء خاصة أو يسمعون أصواتًا معينة ، بينما لا يسمع ولا يرى شيئا الآخرون الموجودون فى نفس المكان . . » .

هذه التساؤلات لا تجد إجابات مقنعة لها حتى الآن . . لكن البحث العلمى فى الظاهرة لم يتوقف .

غرائب
أخرى

التنّين .. الذى ابتلع الشمسَ

ذات يوم من عام ٢١٣٦ قبل الميلاد ، حاول تنين جوعان أن يأكل الشمس . . فشاع الرعب فى قلب أمبراطور الصين ، وقلوب أبناء شعبه .

بدأ الأمر بالتهام قضمة صغيرة من أحد جوانب الشمس ، ثم اختفى ربع الشمس ، ثم نصفها . . . وفجأة اختفت الشمس بأكملها ، فلم يبق منها سوى دائرة غريبة من الضوء الأبيض ، حول الفراغ الذى كان قرص الشمس يحتله ! . .

خاف الصينيون ، ولكنهم كانوا يختزنون رصيدًا كبيرًا من الحكمة ، لذلك عرفوا ما الذى يجب عليهم أن يفعلوه ، فى مواجهة هذه المحنة .

أخذوا يدورن عدوا فى حلقات ، على ضوء ما تبقى من الشمس ، يصيحـــون ويصرخـــون ، ويلعنـــون ذلك التنين . أخذوا يقرعون على كل شىء ، الطبول والصوانى النحاسية ونماذج خشبية جوفاء لطيور البط . . حتى تحرك التنين الذى أصابه الذعر نتيجة لهذا الذى يحدث ، مبتعدًا عن الشمس التى لم يتح له أن يبتلعها . .

وهكذا . . تم إنقاذ الشمس .

إلا أن الإمبراطور الذى صار الآن غاضبًـا أكثر من كونه خـائفًـا ، فقـد أمـر بقطع رأس الفلكيين الإمبراطوريين «هسى» و «هـو» ، لفشلهما فى إنذاره بـاقتراب التنين من الشمس .

* * *

ما جرى حينئذ فى الصين ، كان كسوفًا كليًا للشمس . وكـانـت جـريمـة « هسى » و « هـو » هى أنهما كفلكيين محترفين ، كـان من الواجب أن يعـرفا مسبقًـا موعـد ذلك الكسوف .

وبما هو معروف الآن ، ولم يكن يعرفه إمبراطور الصين . أن كسوف الشمس يحدث عندما يتحرك القمر حول الأرض ، وتتحرك الأرض حول الشمس ، يأتي وقت من الأوقات تصطف فيه هذه الأجرام السماوية الثلاثة في خط واحد ، بحيث يحجب القمر ضوء الشمس عن الأرض . لمدة قد تصل إلى سبع دقائق ونصف .

الخنفساء الحانوتي

من المخلوقات ذات العادات الغريبة ، خنفساء لونها أسود وبرتقالي، اسمها « نكرو فوراس » اسمها مشتق من كلمة « نكروفيليا » ، التي تعني الانجذاب المرضي إلى الجثث . عندما يموت كائن من الكائنات الصغيرة ، تجذب الرائحة الخنفساء الذكر، فيستلقي على ظهره تحت الجثة ، ويمضي بها إلى مكان مناسب . ثم يحفر بمساعدة أنثاه حفرة صغيرة تسمح بأن تغطس فيها الجثة . وهما يستعملان فراء الجثة لكي تضع فيه الأنثى بيضها . عندما يفقس البيض ، يتغذى الصغار على بقايا الجثة ، حتى يشبوا ويواصلوا مهمة دفن الأموات .

كاستانيدا .. البرازيلي الغامض

كارلوس كاستانيدا . .

هـذا هو الاسم الـذى اختـاره لنفسه أحـد علماء الأجناس ، والمؤلف الـذى اكتسبت كتبه شهـرة واسعـة وحققت لـه أموالاً كثيرة ، فيما بين عـامى ١٩٦٨ ، ١٩٧٤ . من أهم هـذه الكتب ، أربعة تـدور حول « دون جوان » . وهـو ليس العاشق الشهير ، ولكنـه من السحرة الشعبيين . ينتسب إلى « الياكى » من الهنود الذين يقطنون أمريكا الـوسطى ، ويعيش فى شمال غـرب المكسيك . . ويعتبر «دون جـوان » من كبار السحـرة الـذين يطلق على الواحد منهم اسم « بروجو » .

فى كتبه واسعة الانتشار ، يحكى كاستانيدا كيف التقى بدون جوان ، الساحر الهندى العجوز ، وكيف تتلمذ على

يديـه ، وكيف جرب خلال ذلـك استخدام ثلاثـة عقاقير من المتداولة بين السحرة ، وكيف تعلم أن يستقبل إشارات العالم الخارجي بجسده كله ، وليس فقط بعينيه وبعقله .

هذه الخبرات التي استمدهـا على مدى عشر سنوات . سـاعــدتـه في الحصــول على درجـة الـدكتــوراه في علم الأجناس، وجعلت منه مليونيرا ، وحـولته إلى بطل عقيدة ينجذب إليها الشباب .

وكتبـه التي تلقى تقـريظًــا واسعًـا ، بـاعتبـارهـا من الكـلاسيكيات ، والتي وجـدت من يدينهـا بالتـزييف ، تتنـوع عنـاوينهـا بين : تعليمات دون جـوان ، والـواقع المنفصل ، ودروس دون جوان ، وحكايـات القوة . . وقد صدر آخر هـذه السلسلة من الكتب في عام ١٩٧٤ . إلا أن الطبعات الجديـدة لهذه الكتب ما زالت تظهر تبـاعًا . عامًا بعد عام .

اللقـاء الأول ..

كا ستـانيدا . . رجل الغمـوض ، لم يعرف أحـد حتى الآن اسمـه الحقيقي . كل مـا نعــرفـه ، هـو أنـه ولـد في

ساوباولو بالبرازيل ، فى يوم الكريسماس من عام ١٩٣٥ . وقد تعلم أن يجيد التكلم بالبرتغالية والإيطالية والاسبانية والإنجليزية .

وفى عام ١٩٥١ ، انتقل كاستانيدا إلى الولايات المتحدة الأمريكية . . وبعد انتقاله هذا بثمانى سنوات ، اتخذ لنفسه اسم كاستانيدا .

فى عام ١٩٦٠ ، عندما كان طالبًا ، يدرس علم الأجناس فى جامعة كاليفورنيا ، بلوس انجلوس ، سافر إلى اريزونا لكى يدرس استخدامات النباتات الطبية . لهنود الجنوب الغربى . وهو يقول إنه ـ وهوفى الخامسة والعشرين من عمره ـ التقى هناك فى مدينة حدودية متربة . بهندى فى التاسعة والستين من عمره ، كان قد نزح من المكسيك إلى اريزونا .

شعر الشاب الجامعى بانبهار شديد ، وإعجاب قوى . فى مواجهة حكمة ذلك الرجل ذى الشعر الأبيض ، فداوم على زيارته ، بشكل منتظم .

منقذ أرواح وساحر !

بعد عام من هذا ، وثق دون جوان بكاستانيدا . فكشف له عن حقيقته باعتباره « بروجو » ، أى طبيب شعبى ومنقذ أرواح ، وساحر .

وفى عام ١٩٦١ ، أصبح كاستانيدا تلميذا للساحر . راح يستمع إلى ما يقوله الرجل العجوز ، ويسجل ملاحظاته . . وأبدى كاستانيدا استعداده لتعاطى العقاقير التى يستخدمها الشامان (الساحر الشعبى) ، للوصول إلى التجلى .

وتحت تأثير عقاقير الهلوسة هذه ، ومع الاستجابة لإرشادات معلمه ، يحكى كاستانيدا أنه شعر بتغيرات فى إدراكه ، وراح يرى أغرب الرؤى ، ويستمع إلى أصوات تشيع الرعب فى النفس ، ، ويحس بالأرض تهتز من تحته . أو يجد نفسه محلقا فى الفضاء ، أو يكتشف أنه أصبح قادرًا على إجراء حديث مع الذئاب . . شعر كاستانيدا أن أفكاره موجودة خارجه . . لكنه يقول إنه لا يستطيع أن يؤكد بثقة أن كل ذلك حدث « حقيقة » .

ومع كثرة من هـاجموا كاستانيدا ، إلا أنه حظى بدفاع عالم أجناس آخر شهير عنه ، هوبول رايسزمان ، من كلية كارلتون ، الذى قال عن كتب كاستانيدا « . . من بين أفضل الكتب التى قدمها علم الأجناس » .

سواء كانت كتبه تعكس حقيقة واقعة ، أو خيالا خاصا به ، إلا أن تلك التى كتبها عن دورن جوان ، تعتبر فى أنحاء العالم من أكثر الكتب توزيعًا ، وأفضلها من حيث تسجيل رؤية الشامان للعالم الواقعى .

القهوة وملك السويد

كان جوستاف الثالث ملك السويد يعتقد أن القهوة سامة . لإثبات نظريته حكم على قاتل بشرب القهوة يوميًا حتى مماته . وللمقارنة ، حكم على قاتل آخر بشرب الشاى كل يوم . وعين الملك طبيبين للإشراف على التجربة . ولمعرفة من الذى يموت أولاً .

كان الطبيبان هما أول من مات ، ثم اغتيل الملك عام ١٧٩٢ ، وبعد ذلك بأيام عديدة مات القاتل الذى كان يشرب الشاى ، من عمر يناهز ٨٣ عاما ! .

« بيوريزم » ..
أو الإيقاع الحيوى للإنسان

تقول نظرية « البيوريزم » ، أو الإيقاع الحيوى إن حالة الإنسان الجسدية والعاطفية والعقلية ، تمر بتغيرات إيجابية وسلبية ، فى دورات منتظمة يمكن حسابها . . فيعرف الإنسان متى يكون قادرًا على أداء الأعمال البدنية على خير وجه ، ومتى يكون موفقًا فى علاقاته العاطفية أو الشعورية بالآخرين ، والوقت الذى يكون فيه قادرًا على التصدى للعمل العقلى ، على أفضل صورة .

ووفقًا لتفاصيل هذه النظرية وحساباتها ، يكون بإمكان الإنسان أن يحدد الوقت الذى يقوم فيه بنشاط جسدى أو عاطفى أو عقلى ، بحيث يحقق أفضل النتائج . وعن

طريق حسابات دورات الإيقاع الحيوى ، يستطيع الإنسان أن يعرف حالته فى يوم معين ، من النواحى الثلاث .

تقول هذه النظرية إن الدورات الحيوية الثلاث ، تبدأ ساعة ولادة الشخص ، لكنها تختلف فى المدى الزمنى لكل دورة .

الدورة الشعورية أو العاطفية تستمر لمدة ٢٨ يومًا . الأيام الأربعة عشر الأولى منها تكون فى الجانب العلوى الإيجابى ، ثم تمر بخط الأساس الأوسط ، لتبدأ ١٤ يومًا جديدًا تقع كلها أسفل خط الأساس فى الجانب السلبى .

أما الدورة البدنية أو الجسدية فمدتها ٢٣ يومًا ، ٥ , ١١ يوم منها إيجابية ، ومثلها سلبية .

أما الدورة العقلية فتستمر لمدة ٣٣ يومًا ، نصف هذه الدورة (٥ , ١٦ يوم) فى الجانب الإيجابى ، ونصفها الآخر فى الجانب السلبى .

والأيام الحرجة هى التى تنتقل فيها أى دورة من الجانب السلبى إلى الإيجابى ، أو العكس .

ماذا تفعل ؟ ومتى تفعله ؟

الأيام الموجبة فى الدورة البدنية ، تصلح فيها النشاطات التى تحتاج قوة وجهدًا ، أما الأيام السلبية فيفضل أن تترك لها الأعمال التى تتطلب استنزافًا أقل للجهد .

والأيام الموجبة فى الدورة الشعورية أو العاطفية تتميز بالبهجة ، والقابلية للتعاون مع الآخرين . أما الأيام السلبية ، فيكون الشخص فيها أميل إلى المزاج المتقلب . وإلى المواقف السلبية .

كذلك ، الأيام الموجبة فى الدورة العقلية تكون سبيلاً أفضل إلى الابتكار ، والمتابعة العقلية من الأيام السلبية .

الأيام الحرجة

اليوم الحرج فى الدورة البدنية ، يفترض فيه أن يكون بالذات يوم التعرض للحوادث ، أكثر من أى يوم آخر . واليوم الحرج فى الدورة العاطفية يكون الشخص فيه أميل

للوقوع فى صدامات واضطرابات عاطفية . أما اليوم الحرج فى الدورة العقلية ، فلا يكون بالضرورة خطيرًا .

فإذا اجتمع فى يوم واحد ، اليوم الحرج بالنسبة لدورتين معًا ، وهو ما يطلق عليه « اليوم الحرج المزدوج » ، فمعنى هذا ضرورة الحرص الشديد ، لتفادى الأخطار . وهذا يحدث ٦ مرات فى السنة تقريبًا . أما « اليوم الحرج الثلاثى » فيحدث مرة واحدة فى السنة .

يوم وصول الدورة إلى القمة أو إلى الحضيض ، يكون خطيرًا ، لو تصادف مع يوم حرج فى أى من الدورتين الأخريين .

ويمكنك أن تحسب دورات حياتك ، عن طريق حساب عدد الأيام التى مرت منذ مولدك ، مع ضرورة إضافة يوم كل سنة كبيسة . اقسم ذلك الرقم على عدد أيام كل دورة من الدورات ، خارج القسمة سيكون هو عدد الأيام التى مرت منذ أقرب بداية لهذه الدورة .

بـداية الـدورة تكـون عنـد خط الـوسط بين الإيجابى والسلبى . وكل دورة تبدأ بالصعود .

بهذه الطريقة ، يمكنك أن تتوصل إلى موقع أى يوم من الدورات الثلاث .

كمبيوتر وآلات حاسبة

انصار نظرية البيـوريزم ، والمتحمسين لها ، ينظرون إلى كل من دكتـور هيرمـان سفوبودا ، الـذى كان استـاذاً فى جـامعـة فيينـا ، ووهيلم فليس الطبـيب البرلينى . بـاعتبـارهما مـؤسسى النظـريـة . فإليهما يعـود الفضل فى اكتشاف الـدورة البدنية (٢٣ يـومًا) ، والدورة العـاطفية (٢٨ يومًا) .

أمـا الـدورة العقليـة (٣٣ يـومًـا) فيعـود الفضل فى اكتشافها إلى الفريد تيلتشار ، وهو مهندس نمساوى .

ورغم أن العلماء الجادين قد تجاهلوا نظـرية البيوريزم . إلا أنها تحظى بقبول واسع بين جماهير عديدة .

وفى أواخـر عـام ١٩٧٥ ، وصل عـدد اليابـانيين من رجال الأعمال الذين يعتمـدون على البيوريـزم فى حياتهم . ٢٠٠٠ شخص . وكانـوا يعتمدون عليه ــ بالتحديـد ـ فى خفض معدل حوادث العمل بين العمال والعاملين .

وقامت شركة يونيتيد الأمـريكية للطيران بوضع كمبيوتر لخدمة العاملين فيهـا ، والذين يهتمون بحسـاب البيوريزم الخاص بهم . كما أن الكتب والآلات الحاسبة التى تتصل بحساب دورات البيوريزم ، تشيع وتحقق مبيعات عالية .

أنوريكسيا نيرفوزا..
مرض أم عرض؟

انوريكسيا نيرفوزا ، هو الاسم الذى يطلق على حالة امتناع الإنسان ـ بإرادته ـ عن الطعام مما يعتبر عرضًا من أعراض المرض النفسى .

تم اكتشاف هذه الحالة لأول مرة على يد سير وليام جول ، فى عام ١٨٦٨ . واكتسب اسم أنوريكسيا نيرفوزا عام ١٨٧٤ . وهذا الخلل يصيب حوالى خمسة أشخاص من بين كل مائة ألف أمريكى . والمصابون به ، معظمهم ـ فيما عدا قلة نادرة ـ من النساء . وهذا الخلل لا يرتبط بأى خلل جسدى ، يمكن عن طريقه تفسير فقدان الشهية المصاحب له .

ويبـدأ رفـض تنـاول الطعـام عـادة مـا بين العـاشرة والخامسـة عشرة . ونتيجـة لـذلك ، ينخفض الـوزن إلى نصف الوزن العادى . ومن بين الأعراض المصاحبة : تنوع فى متاعب الجهاز المضمى ، والتقيؤ الإرادى أو العشوائى . وانقطاع الدورة الشهرية .

المصـابون بهذا الخلل ـــ على العكس من ضحـايـا المجاعات ـــ لا يشعرون بالجوع ، إلا أنهم يكونـون قادرين على القيام بـالنشاطات اليـومية ، على مستـوى قريب من العادى . وهـم لا يبدون اهتمامًـا بحالتهم . ومن بين نسبة ٥ فى المائة هذه ، يمـوت ١٥ فى المائة ، نتيجة عـدم تناول الطعام .

حالة احتجاج اجتماعى

ولما كان معظم الناس الذين يرفضون تنـاول الطعام ، يفعلون ذلك لعدد من الأسباب المتنوعة ، لذا حدث اتفاق بين الأطباء على أن أنوريكسيا نيرفوزا ، يمكن فهمها جيدًا كعرض وليس كمرض .

معظم المصابين بهذا الخلل ، يرجعون فقدان شهيتهم إلى رغبة ملحة قوية فى تجنب السمنة ، بينما يقول عدد محدود منهم إنهم لا يأكلون لأنهم يخافون من الطعام ، أو من عملية الأكل نفسها ، ومنذ عهد قريب ، بدأت حركة لإعادة النظر فى تناول العلاج الطبيعى النفسى التقليدى لحالة الذين يشكون من انوريكسيا نيرفوزا ، وغير ذلك من الأمراض العقلية الشائعة بين النساء ، نتيجة للوعى المتزايد بالأدوار التى تفرضها البيئة الاجتماعية عليهم .

والذين يتبنون قضية المرأة من الأطباء النفسيين ، يميلون إلى الاعتقاد بأن الأسلم ، هو النظر إلى فقدان الشهية عند الفتيات ، كنوع من الاحتجاج الاجتماعى ، أكثر من النظر إليه كمرض . وهم يلاحظون أن الفتيات اللاتى يعانين من هذا العرض ، عادة ما تتوقف لديهن الدورة الشهرية ، أو لا تبدأ أصلاً . ويجمع بينهن جميعًا ، أنهن لا يبدين اهتمامًا بالحالة .

علاج هـذه الحالة ، كـان ناجحًا بـالنسبة للعـديد من الذين يعانون منها . وهذا لا يمنع أن بعضهم يميل إلى أن يصاب بعدوى عارضة ، أو بمرض عقلى مزمن .

والمعروف ، أن ايـداع صاحب أو صاحبة هذا الخلل المستشفى فى مـرحلـة مبكـرة ، يعطى أفضـل النتـائج . ولكن، يجب أن تعطى للطبيب صلاحيـات كاملـة للقيام بالعلاج الفعال .

واستشـارة الطبيب النفسى ، منصـوح بها فى جميع الحالات ، وتكـون ضرورية للغـاية فى بعض الحالات . خاصة تلك التى يفشل فيهـا النظام الغذائى المفروض على الشخص .

ظهر في سلسلة « أغرب من الخيال »

سر الأطباق الطائرة
النبات يحب ويتألم
الهرم وسر قواه الخفية
رجل يعرف كل الأسرار
٣٠ ظاهرة خارقة
لعنة الفراعنة
عجائب بلا تفسير
تفسير الأحلام والتنجيم
التخاطر والسحر واليوجا
الخروج من الجسد
أحلام اليوم حقائق الغد
عجائب العقل البشري
هذا الغد العجيب
أسرار حيرت العلماء
معجزات العلاج
العالم سنة ٢٠٠٠

رقم الإيداع : ٩٥/١٨٥٦

الترقيم الدولى ٠ -1 - 0269 - 09 - 977 .I.S.B.N

مطابع الشروق

القاهرة، ١٦ شارع جواد حسنى - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - فاكس ٣٩٣٤٨١٤

بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

الأشباح المشاغبة

وغرائب أخرى

- وقائع الأشباح المشاغبة بين الحقيقة و الخداع والتفسير الخطأ.
- ماريا جلبت الأشباح المشاغبة إلى مكتب المحامي الألماني .
- الشرطة تفشل في حل لغز قذائف أحجار برمنجهام.
- علامات عض أسنان على ذراع الرومانية اليانور .
- الأشباح ترفع جسد شيرلى في الهواء فوق سريرها.
- هل يعتبر وجود المراهقين شرط لاجتذاب الأشباح المشاغبة ؟
- « جيفرى العجوز » ، الشبح المشاغب ، في بيت القس ويسلى .
- أشباح مزرعة بيل رفضت زواج بيتسي من خطيبها.
- دق وعبث بالأنوار وقلب كراسي في المركز المسرحي بأيرلندا .
- التوابيت المتحركة في مدفن عائلة تشيس بالكاريبي .